

# المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب

للمستشرق الهولندي - رينهارت دوزي

ترجمته الدكتور أكرم فاضل مدير الفنون والثقافة الشعبية  
وزارة الاعلام « بغداد »

لا ادري هل احمد نفسي أم الحاهها على القيام بترجمة هذا المعجم . اذ لم اكد اخطو في شعابه بضع خطوات ، حتى قامت بوجهي عقبات لا حصر لها ، فمن لغات اجنبية قد يبلغ تعدادها العشرين ، غربية وشرقية ، قديمة وحديثة . . . والحديثة : كالفرنسية والهولندية والالمانية والاسبانية ، مكتوبة بلغة قديمة ، والقديمة مكتوبة بلغة اقدم ، كاللاتينية واليونانية . وهناك الارامية والسريانية والعبرانية والقبطية والحشية . وثمة كلمة يقول المؤلف انها كلدانية في حين ظهر بعدئذ انها عبرية . وهو يستطرد استطرادات عجيبة ، بهواها الطبع العربي ، ولا يستنكرها الطبع الالمانى ، ولكن السليقة اللاتينية تعافها وتستنكرها . ولو ان دوزي كان يعمل تحت اشراف استاذ فرنسي لنسف كتابه نسفاً ودوزي لا يكتفي بالاستطراد، بل يفسر بعض النصوص تفسيراً خاطئاً ، ويبني على ذلك التفسير حكماً خاطئاً . ويوصي باضافة التصريف الفلاني الذي ابتدعه الى المعاجم العربية والتصريف الاخر الى القواميس الفارسية . وهو يدرج الحوادث التاريخية درجعة سريعة في تعليقاته ، حتى يكاد ينسبك الموضوع الاصلي .

وشهدته مرة يضيف ثنتين من التعليقات الى الثلث الثالث وهو النص ، دون ضرورة ملحّة . ويضرب صفحا عن ذكر المصادر أحيانا : فهناك اسم بدون مؤلفات ومؤلفات بدون مؤلف .

لم اذكر هذه المآخذ لاقدح في قيمة الكاتب وخطر شأنه ، لاننا يجب ان نتذكر ان المؤلف الفهيين الاعوام 1841 - 1843 ، في قلة من المصادر التي لم يطبع بعضها حتى يومنا هذا .

والكتاب ليس كله ملابس بل فيه تاريخ وادب وفولكلور .

وهو يتناول الازياء في جميع الاقطار العربية ، شرقيها وغربيها . ولكن هذه المواد تخص اكثر ما تخص الالمانس واقطار المغرب العربي ومصر .

واذا اردنا ان تقع على سائر اسماء الملابس العربية ، فاننا سنصاب بخيبة امل . ولكننا نرى طريقة للبحث ونماذج مدروسة ومحاولة جلييلة يؤسفني ان اقول ان عربيا واحدا لم يحاول مثلها .

والانكى من ذلك ان الكتاب ظل اكثر من قرن قابعا فى نصه الاول .

وقد اهديت الى الكتاب بحكم تعييني مديسرالفنون والثقافة الشعبية فى وزارة الاعلام العراقية ، اذ وجدت من الخير نقله الى لغة الضاد ، لانه مصدرعالمي يراجع فى فرنسا وانكلترا ومصر ، واخيرا فى العراق . ولاننا نعين فى العالم كله فورة فولكلورية جامحة .

اما الطريقة التى سلكتها فهى الاحتفاظ بأسلوب المؤلف ، لاننى أرجو من القاريء ان يقرأ دوزي كما كان يشاء دوزي ان يقرأه . واما النصوص فقد حقتها ما وسعني التحقيق ، الا ان بعضها مسطرا بالعامية ، فكان لا مناص من ابقاء الوضع على حاله . ولكنني من جهة أخرى صحت رواية الايات الواردة فى الكتاب دون الاشارة الى هذا التصحيح ، لاننى لا أريد ان اتدخل على حساب دوزي . على اننى قد أشير الى التصويب فى بعض الاحيان ، على سبيل التنبيه على وجود هفوات .

وختاما ، لا بد لي من التوجه بالاعتراف بالجميل الى الذين شاركوا فى مساعدتي ولو بكلمات معدودات وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي الاب جان فييه -الذي لا أستطيع ان أفه حقه من الشكر - والدكتور حسين علي محفوظ والاستاذ عبد الحميد العاوجي والاستاذ هاشم الطعان .

## المقدمة

الجزيرة العربية وفى فارس وفى سورية وفى افريقيا، الخ . . . واخيرا نناشد هذا القاموس ان يكشف لنا عن كل المعاني التى عبرت عنها الكلمات فى جميع الاقطار التى تألفت منها هذه الامبراطورية العربية المترامية الاطراف ، التى امتدت من الهند حتى حدود فرنسا .

واننى اتحدث عن هذا المعجم المنشود الذى انتظر منه ان يستند على الدوام الى نصوص المؤلفين ، فيخط لنا ، اذا صح التعبير ، تاريخ كل كلمة ، وقصة كل جملة . هذا المعجم المفقود الذى يميز ، بوضوح وجلاء ، المعاني الخاصة لكل كلمة فى قطر معين من الاقطار العربية ، من المعاني التى كانت تعرب عنها الكلمة فى قطر معين آخر : القاموس الذى يجب ان يميز معنى كل كلمة لدى الشعراء ، من معناها الخاص لدى كتاب النثر .

وختاما ، اننى أحلم بالقاموس المنظوي على كل التعابير العالمية والفنية ، المشروحة شرحا منهجيا . ولكننى أكرر القول ان الازمنة التى يستطيع ان يؤلف خلالها هذا المعجم ما انفكت بعيدة كل البعد عنا . وبوسعنا ونحن نرقب هذا العهد المرموق ، ان ندفع عجلة علوم اللغة الى الامام بثلاث طرق . الطريقة الاولى تنحصر فى تدبيح تعليقات وملاحظات من صميم فقه اللغة على هيئة شرح كتاب لمؤلف من المؤلفين ، او باضافة ملحق بشرح الكلمات التى أوردها المؤلف فى كتابه وذلك حين يقدر نشر ذلك الكتاب . وهذا

مهما تكن الخطوات ، التى خطاها الادب العربي فى مجال التقدم والرقي ، واسعة فى هذه الازمنة الاخيرة ، فليس بمقدورنا ان ننكر ان علم فقه اللغة لم يقطع نفس الاشواط التى قطعتها العلوم التاريخية والجغرافية . بل ارانا مرغمين على الاعتراف باننا ، فى حلبة علوم اللغة ، لم نندفع الى ابعد مما اندفع اليه الباحثون فى عهد كوليوس Golius

فالحقيقة اننا ما زلنا فى الحالة الراهنة للعلم ، غير قادرين على التفكير تفكيرا جديا بوضع معجم عربي شامل . فان مكتبات اوربا وآسيا وافريقيا ما تبرح تطوي اضعافا على الالاف من المجلدات المخطوطة، التى ما انفكت حتى عناوينها مجهولة لدينا . ذلك لان مخطوطات امرق الكتب كلاسيكية فى الادب العربي لم تتناولها يد التحقيق والتدقيق ، بالعناية اللازمة، حتى يومنا هذا ، ولم يعارض بعضها ببعض .

وان القيام بطبع خمسين مؤلفا من الطراز الاول لا يعد عملا كبيرا ، اذا وازناه بالعدد الهائل من الكتب الذى ينتظر بلهفة نشره على الكافة .

واننى اذ اتحدث عن معجم عربي اعني بذلك قاموسا ياخذ على عاتقه - الى جانب اهتمامه ، بكل ما لديه من طاقة ، بالمعنى الدقيق الذى كانت تعنيه كل كلمة لدى نشأتها - مهمة جعلنا نعلم بصورة محكمة واضحة مختلف المفاهيم التى تلقنتها كل كلمة فى

وسترون على وجه التخصيص ان النسخة النفيسة لرحلة ابن بطوطة ، التي يقتنيها هذا العلامة ، هي التي افادتنى افادة بالغة لا مثيل لها . وان هذا السفر هو كتاب من النسق الرفيع من عدة وجوه . اما المختصر المترجم من قبل لي Lee ، فانه لا يهبنا الا فكرة ضعيفة كل الضعف عن اهمية الكتاب الاصلي .

فارجو من دي كايانكوس ان ياذن لي بتقديم فروض الحمد والامتنان اليه ، وازجاء عواطف الاعتراف بالجميل لشخصه الكريم على الاحسان الذي خصني به .

وانني لاجسر على ان اؤمل العفو عن بعض الهفوات التي وقعت في لفة هذا الكتاب الفرنسية ، اذ يكاد يكون امرا مستحيلا على اجنبي مثلي ان يتجنبها . وربما كان أهون علي ان اكتب الكتاب باللغة اللاتينية ، ولكن الموضوع يتعارض وهذه اللغة ، ذلك لانني لو استعملت هذا اللسان لارغمت ارغاما على تفسير الكلمات العربية بتعابير مستعارة من اللغة الرومانية العتيقة ، التي لم تعد مدلولاتها معروفة لدينا بصورة دائمية .

## المختصر

في اليهود الاسلامية الاولى ، يوم كان الناس جميعهم على وجه التقريب بداءة ، وكانت المدن صغيرة ضئيلة الشأن ، كاد فن الخياطة يكون مجهولا ، فقد كانت الشملات البسيطة ، المنسوجة قطعة واحدة ، كافية لضمان وقاية المشتغلين بها من صابة القر وحمارة القيط . وليس بوسعنا ان نتصور استطاعة خياطة الالبسة وفق طراز اتيق ، وكان الحائك وحده يقوم بهذه المهمة . ولكن العرب باستيلائهم الخاطف على شطر كبير من آسيا ومن افريقيا ومن أوروبا ، وجدوا انفسهم مرتبطين بعلاقات وثيقة مع شعوب تلك المناطق التي قهروها واستولوا على ديارها ، في حين ان هذه الشعوب كانت تفوق العرب الفاتحين مدنية وحضارة ، فلم يكن بد للعرب من هجر حياتهم البدوية شيئا فشيئا ، والشروع في الاستقرار الدائمي في

القاموس الصغير هو بمثابة تكلمة للمعجم موضوع البحث . وهذا المنهج هو الوسيلة المتبعة بصورة عامة حتى هذا اليوم . اما الطريقة الثانية فهي جمع الكلمات التي تؤلف صنفا من الاصناف . واما الطريقة الثالثة فهي الاقتصار على لفة قرن واحد او على لفة قطر واحد . ولكن هذه الطريقة لم تتبع حتى هذه اللحظة .

لن اتوقف هنا لمناقشة مختلف المنافع التي تجنيها كل طريقة من هذه الطرق ، ولكنني سأحملك فقط على ملاحظة ان الطريقة الثانية ، الطريقة التي كنت اول من اتبعها في هذا الكتاب انصياعا لبرنامج المعهد ، هي التي تنفحنا بفوائد حقيقية ، لا سيما اذا كانت الكلمات المطلوب شرحها تتعلق بالاخلاق والعادات .

فاسمحوا لي اذن ان اقول كلمة واحدة عن الخطة التي رايت من المحتم علي اتباعها .

لقد آمنت بأهمية تحقيق الوقائع في عمل له هذه الطبيعة ، وان اقرب بين شهادات واستشهادات المؤلفين ، وان أعارض بعضهم ببعض . ولم اجرؤ على المجازفة وركوب متن الشطط في متهاتات من التخمينات الاشتقاقية ، التي لو عرضها شخص آخر غيري لبدت مقبولة رائعة بارعة ، ولكن هذه الظنون لن تاتي بنتيجة يطمأن اليها مطلقا .

ان المخطوطات التي ذكرتها تعود ملكيتها الى مكتبة ليدن . وقد اخذت على عاتقي تنبيه القراء دوما حين تؤلف هذه المخطوطات شطرا من مكتبات اخرى . وارى لزاما علي ان الفت الانظار الى انني حرصت كل الحرص بنشري نصوصا لمؤلفين من العصر الوسيط للادب العربي على ايرادها كما كانت مرسومة في المخطوطات . وان قواعد النحو التي اتبعها هؤلاء المؤلفون تشد بعيدا عن القواعد التي نحاها نحاة البصرة ونحاة الكوفة ، فوجب علي الا امسح المؤلفين باعارتهم نحو لم ينحوه .

لقد شملني دي كايانكوس De Gayangos بلطفه فأعازني بضع مخطوطات من مخطوطاته .

اسبانية كانت تماثل اقبية المسيحيين . ويقول ابن الخطيب (3) في معرض حديثه عن محمد بن سعد ابن محمد بن احمد بن مردنيس الذي توفي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ما يلي : « وآثر زي النصارى من الملابس والسلاح واللجم والسروج » . ونتيجة لاختلاط العرب بالاجانب ، كان هناك تباين كبير على الدوام بين ازياء الشعوب المختلفة التي كانت تتألف منها الامبراطورية العربية المترامية الاطراف : وبوسعنا ان نميز بسهولة بين عربي من الشرق وبين عربي من الغرب . ويقول ابن اياس (4) وهو يحدثنا عن المؤرخ المشهور ابن خلدون : « واستقر لما تولى القضاء وهو بزي المغاربة فعذ ذلك من النوادر » . ويقول النويري (5) وهو يخبرنا عن وفاة الملك القاهر بهاء الدين ابي محمد عبد الملك بن الملك المعظم : « وكان يلبس ملابس العرب ويتزيا بزيمهم ويركب كمركبهم ويتخلق باخلاقهم في كثير من افعاله » . وحتى اولئك الذين كانوا يقطنون في المدن متقاربين بعضهم من بعض ، كانوا يرتدون الازياء المختلفة . ويوم حظر فيليب الثاني على مغاربة اسبانيا ارتداء زيمهم القومي عبر احدهم المسمى مارمول فرانسيسكو مؤنس مولاي Francisco Nuñez Muley عن هذه الحالة بالكلمات التالية : « ان ازياء نسانسا

المدن (1) قادروكوا يومذاك ان في مقدورهم عمل ثياب اشد اناقة من الشملات التي كانوا يلتفون بها ، فاستماروا طرزا كثيرة من طرور الشعوب المغلوبة على امرها معهم . ولما كان الترف والبذخ والنعيم قد خطا كل منها خطوات واسعة في ابهة الفرس ، فان بلاط بغداد قد طفق يتفاقم لديه شعور تأثره الذي وقع تحت سطوته من احتكاكه واختلاطه بجيرانه ورعاياه . وكان لاتعاش الحضارة وازدهارها وتقدم التجارة وانتشارها ان انشئت مصانع من كل نوع ، كانت تنسج فيها الاعمشة الحريرية الفاخرة وطرائف الديباج التي لا سبيل الى حصرها ، وقد احرزت بغداد العديد منها .

اما في الغرب فكانت الحالة على النقيض من ذلك ، فان العرب قد اختلطوا بالمغاربة والبربر . وكانت هذه الشعوب غليظة مخشوشنة . وكانت اوطأ من قاهرها في سلم الحضارة ، فكان الترف مجهولا لديها ، وحين اختلط العرب بهذه الاقوام ، استعمار هؤلاء من العرب لباسهم الخشن ولكن بصورة جزئية .

اما في اسبانيا ، فان العرب ، وعلى وجه التخصيص خلال فترة امبراطوريتهم الاخيرة ، قد استعاروا الشطر الكبير من ازياء الفرسان النصارى . ويؤكد ابن سعيد (2) بصورة قاطعة ان اقبية العرب في

(1) راجع ابن خلدون ( المقدمة ، مخ . - 1350 (ا) ، ص 158 و 159 الفصل الخاص في صناعة الحياكة والخياطة ) : « اعلم ان المعتدلين من البشر في معنى الانسانية لا بد لهم من الفكر في الدفاء كالفكر في السكن . ويحصل الدفاء باشتمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد . ولا بد لذلك من الحام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا ، وهو النسج والحياكة . فان كانوا بادية اقتصروا عليه وان كانوا الى الحضارة فصلوا تلك المنسوجة قطعا يقدرون منها ثوبا على البدن بشكته وتعدد اعضائه واختلاف نواحيها . ثم يلائمون بين تلك القطع بالوسائل حتى تصير ثوبا واحدا على البدن ويلبسونها .

والصناعة المحصلة لهذه الملاءمة هي الخياطة . وهاتان الصناعتان ضروريتان في العمران ، لما يحتاج اليه البشر من الرفه . فالاولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن اسداء في الطول والحاما في العرض واحكاما لذلك النسيج بالالتحام الشديد . فيتم منها قطع مقدره : فمنها الاكسية من الصوف للاشتمال ، ومنها الثياب من القطن والكتان للباس . والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد ، تفصل أولا بالمقراض قطعا مناسبة للاعضاء البدنية ، ثم تلمح تلك القطع بالحياكة المحكمة وصلا او خبكا او تنبيتا او تفتيحا على حسب نوع الصناعة . وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما ان اهل البدو يستفرون عنها ، وانما يشتملون الاثواب اشتمالا . وانما تفتيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها . وتفهم سر هذا في سر تحريم المخيط في الحج ، لما ان مشروعية الحج مشتملة على نبذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع الى الله تعالى » .

(2) ابن سعيد لدى المقري ( نفع الطيب ، مخدي غوتا ، ص 45 ) .

(3) الاخاطة ، مخدي كايانكوس ، ص 186 .

(4) تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 202 .

(5) التويري تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 270 ، حوادث عام 676 .

ليست أزياء مغربية . ان أزياءهن هي أزياء قشتالة » .

وفى الاقطار الاخرى كانت الشعوب الاسلامية تتباين فى غمائمها وثيابها وأحذيتها ، فهل بوسع أحد ان ينكر ان أزياء النساء المغربيات الافريقيات وأزياء النساء التركيات تختلف كل الاختلاف عن الأزياء التى ترتديها نساؤنا فى غرناطة؟ كما ان أزياء الرجال تختلف كذلك، ذلك لان أزياء فاس ليست شبيهة بأزياء تلمسان، وكذلك أزياء تونس ليست مثل أزياء مراكش ، وكذلك تنطبق الحالة على تركيا والامبراطوريات الاخرى (6) .

وبالإضافة الى ذلك فهناك بون شاسع بين أزياء الطبقات المختلفة التى يتألف منها المجتمع الاسلامي . ويبدو الاختلاف اشد ما يبدو فى شكل العمامة التى تميز النبيل عن ابن الشعب والجندي، هذه العمامة التى قد يعرف الناس عن طريقها المركز الذى يشغله الرجل الذى يصادفونه (7) . ولكن يجب علينا الان لنحيا الى تطبيق هذه الطريقة بصورة عامة الا على سكان المدن ، لان البدو يكادون يحتفظون بالزى العربي القديم وهم يراعون أوامر الدين ونواهيته اكثر مما يراعونها سكان المدن .

وقد نطق الرسول صلى الله عليه وسلم بالعديد من الاحكام فى سبيل منع تفشى الأزياء المترفة الباذخة بين ظهرائي اشياعه . واستنبط فقهاء الشريعة الاسلامية من هذه الاحاديث نظاما يضم التعاليم والنصوص الخاصة بالأزياء ، وهى التى سنعرضها مقتفين آثار خطى المؤلفات فى الفقه الحنفى والمالكي .

يقول صاحب ملتقى الابحر (8) : ان الملابس تستعمل فى ستر العورة ، وفى اتقاء غائلة الخثر وصوله البرد (9) والخير كل الخير ان تكون الالبسة مصنوعة من القطن أو من الكتان ، لا هي زاهية باهية للغاية ولا هي اسمال بالية الى ما لا نهاية . ولا يحرم التزين اذا كانت الفاية منه اظهار نعم الله وآلائه التى من بها علينا ، ولكن يحرم ابداء الزينة اذا كان الباعث على اراءتها منبعه الزهو والخيلاء والكبرياء . وان التواضع فى هيئة اللباس هو فى غالب الاحيان موصى به من قبل اعظم حكماء شبه جزيرة العرب وفارس . فيقول النويري مثلا (10) وهو يكيل المديح لصالح الدين : « وكان لا يلبس الا ما يحل كالكتان والقطن والصوف » . ويقول المؤلف نفسه فى موضع آخر (11) ، بمناسبة وفاة الامير جمال الدين آيدغدي العزيز : « وكان مقتصدا على ملبسه . يلبس ثياب القطن من الهندي والبعلبكي وغيره مما يباح ولا يكره لبيسه » .

وارتداء الحرير حلال على النساء ، ولكن هذا القماش محرم على الرجال . فلا يحل لهؤلاء سوى ان يكون لهم فى ملابسهم حاشية من الحرير . هذه الحاشية التى يجب الاتجاوز الا ربع اصابع عرضا (12) او يجب الاتجاوز الاصبعين (13) كما يقول الآخرون .

ويرى المالكيون ان هذه الحاشية يجب ان تكون اقل من اصبع عرضا (14) .

وقد تحدث الرسول فى كلمات على درجة كبيرة من العنف والشددة حول الالبسة الحريرية . فقال : « من لبس الحرير فى الدنيا فلن يلبسه فى الآخرة (15) »

- (6) مارمول ، ثورة الموريسكيين (المتنصرين) ، ص 38 ، مج 3 .
- (7) انظر كوتوفيك ، رحلة الى اورشليم ، ص 486 . وراجع بارثي ( رحلة عبر صقلية والشرق ، ج 2 ، ص 74 ، 75 .
- (8) مخ 871 ، ص 106 ، مخ 1081 ، ص 211 ، مخ 1211 ، ص 164 .
- (9) راجع مرجي أوسون Mouradjea d'Ohsson (ج2، ص130) . السحنة العامة للامبراطورية العثمانية
- (10) تاريخ مصر ، مخ 2 ك (2) ص 254 .
- (11) المرجع السابق ، مخ 2 ، ص 180 .
- (12) ويعل للنساء لبس الحرير ولا يحل للرجال الا قدر أربع اصابع كالعلم . ( ملتقى الابحر ) .
- (13) صحيح البخاري ، ج 2 مخ 356 ، ص 169
- (14) ابن ابي زيد ، الرسالة ، مع شرح ابي الحسن علي الشاذلي ، مخ 1193 ، ص 746 .
- (15) صحيح البخاري ، ج 2 ، مخ ، ص 169 .

وقال كذلك : « انما يلبس الحرير فى الدنيا من لا خلاق له فى الآخرة » (16) .

وبجيز الحنفيون للرجال ارتداء الالبسة التي لحمتها من الحرير وسداها من نسيج آخر . وعلى النقيض من ذلك لا يجوز ارتداء الاقمشة التي سداها من الحرير ولحمتها من نسيج آخر الا فى اوقات الحروب .

اما المالكيون فلم يسد الاتفاق بين صفوفهم ، فهم مختلفون بشأن جواز ارتداء القماش المسمى (خزا) وهو النسيج الذي سداها من الحرير ولحمتها من الصوف ولكن الكثرة الكاثرة من (دكاترة المسلمين ) فقهاء المسلمين تشجبه وتحرمه (17) .

اما الالوان المستحبة الى ابعد الحدود فاللون الابيض واللون الاسود (18) . يستحب اللون الابيض لان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ان الله يحب الثياب البيض وانه خلق الجنة بيضاء . وقال مؤرخ افريقي (19) وهو يفدق الثناء على عبد الرحمن الاول ، اول ملوك الاندلس : « كان يلبس البياض ويعتم به » واللون الاسود مستحب لان الرسول كان يرتديه فى يوم فتح مكة ، اذ كان باسيا بجبة سوداء ومعتما بعمة من نفس اللون (20) . اما الشيعة فيمقتون اللون الاسود ، على الضد من ذلك ، لاننا نقرأ فى رحلات شاردان (21) : « لا يلبس الناس اللون الاسود فى

الشرق ، لا سيما فى ايران ، فان هذا اللون هو لون تشاؤمي وكريه ، بحيث لا يستطيعون ان يرفعوا ابصارهم اليه وهم يسمونه لون الشيطان . اما اللون الاحمر واللون الاصفر فهما لوان غير شرعيين (22) .

ونحن نجعل سر هذه الكراهية ، ولكنني افترض ان اللون الاصفر ( المعصفر ) هو لون غير شرعي لانه لون الكراهية (23) ، وان اللون الاحمر مقبوت لانه لون الدم . وبالرغم من ذلك فان المسلمين يرتدون فى اغلب الحالات ثيابا معصفرة او حمراء .

واذا آمننا بما يقوله ابن جنسى (24) وكذلك الواحدي (25) فى الموضوع نفسه ، فان الثياب البوافع كن يرتدين الوردية الحمراء عادة . اما الثياب الخضراء فلم يكن بوسع احد ان يتزيا بها سوى الاشراف او عترة الرسول محمد وذرياتهم .

ويبدو بخصوص موضوع الازياء عدم وجود كبير اختلاف بين الحنفيين والمالكيين والشافعيين ، ولكن يخيل الي ان طائفة احمد بن حنبل - وهي اشد الطوائف الاسلامية تزمنا - قد امنت فى الجمود الى قرار سحيق فى هذا المجال . واليك ما تقراه فى تاريخ مصر للتويري (26) : « وفى هذه السنة فوض قضاء قضاة الحنابلة بدمشق الى شمس الدين ابي عبد الله محمد - ووصل اليه بتقليد القضاء من الابواب السلطانية فى يوم السبت ثامن صفر وقرىء بجامع

(16) ابن ابي زيد ، الرسالة ، مخ 1193 ، ص 745 ، مع الشرح : « واختلف فى لبس الخبز بخاء وزاء معجمتين وهو ما سداها حرير ولحمتها صوف مثلا على اقوال اشار الى اثنين منها بقوله فأجيز وكره صحيح فى القيس الاول واستظهر ابن رشد الثاني . والثالث يحرم لبسه القراني وهو ظاهر مذهب مالك لقوله عليه الصلاة والسلام فى حلة عطارد وكان يخالطها الحرير : انما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة » .

(17) ويستحب الابيض والاسود ( ملتقى الابحر ) .

(18) مجمع الانهر ، ط القسطنطينية ، ج 1 ، ص 258 : لقوله عليه السلام : « الله يحب الثياب البيض وانه خلق الجنة بيضاء » .

(19) لدى المقري ، تاريخ مصر ، مخدى غوتا ، ص 353 .

(20) المجمع ( الكتاب القيم ) .

(21) شاردان ج 3 ، ص 69 .

(22) ملتقى الابحر ( ويكره الاحمر والمعصفر ) .

(23) راجع كتابي ( تاريخ بني عباد ، ج 1 ، ص 32 ، ت 105 ) .

(24) شرح ديوان المتنبي ، مخ 126 ، ص 1103 .

(25) شرح ديوان المتنبي ، مخ 542 ، ص 33 .

(26) مخ 2 ورقة 78 ، حوادث عام 716 .

دمشق بحضور القضاة والاعيان وخرج القاضي شمس الدين المذكور من الجامع ماشيا الى دار السعادة (27) فسلم على نائب السلطنة ثم نزع الخلمة السلطانية وتوجه الى جبل الصالحية وجلس للحكم فى سابع عشر (28) صفر وما غير هيئته ولا عاداته فى مشيه وحمل حاجته ويجلس للحكم على مئزر غير مبسوط بل يضعه فى يده ويجلس عليه ويكتب فى محبرة زجاج (29) ويحمل نعله بيده فيضعه على مكان واذا قام من مجلس الحكم حمله ايضا حتى يصل الى آخر الايوان فيلقيه ويلبسه . هكذا اخبرني من اثق بأخباره واستمر على ذلك وهذه عادة السلف .

وانا فى جهل مطبق ما اذا كان هذا التواضع المفرط من شئشنة كافة مشايخي مذهب الامام احمد ابن حنبل ، ام من شيمة القضاة لوحدهم ، فيؤسفني كل الاسف انه لم يكن بمقدوري حتى مراجعة احدى امهات الكتب فى الفقه الحنبلي حول هذه النقطة ، اذ يبدو ان هذه الاسفاز نادرة الوجود فى اوربا .

كان الرسول يرتدي باديء الامر قميصا من القطن الابيض (30) ينسدل رداءه الى معصيه (31) ، وكان يضيف الى هذا القميص سروالا منسوجا (32) . ويخيل الي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرتدي على القميص والسروال الا رداء واحدا هو الجبة ، وهي عبارة عن رداء طويل من الصوف مطرزة بالحرير ومفتوحة من الامام (33) . وكان لهذا الرداء رداءه الضيقان ، او كان بالاحرى قباء (34) وهو كساء طويل مرصع بالازرار من الجهة الامامية . وكان الرسول فى مناسبات اخرى يرتدي بدل هذه الثياب شملة من النسيج الخشن ، وهي ما نسميه عادة بالبردة (35) المكونة من قطعة كبيرة من النسيج الصوفي السميك ، وهي شهباء اللون مجزعة تلف جسده الكريم كله . وكان الرسول محمد يرتدي العمامة البيضاء او السوداء ويرسل احدى نهايتها على ظهره (36) .

وسنقارن بغية تكوين فكرة لانفسنا عن التغيرات التي طرات على الازياء العربية ، بين ازياء المحمدين

اما حذاء الرسول فكان يتألف من (صندل) نعالم معمول من جلد البعير (37) ومربوط بشراكين يرتمي

دار السعادة هي بلاط النائب فى دمشق ، لاننا نقرا فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 109) :

- (27) « وفى عاشر شهر رمضان امر نائب السلطنة بدمشق بهدم العمائر على حبس باب الجديد الى باب الفرديس ( الفراديس ؟ ) . ( ذكر الادريسي هذا الباب ، ج 1 ، ص 352 . وفى التاسع والعشرين من شهر رمضان جمع القضاة والفقهاء بدار السعادة فى مجلس نائب السلطنة » . وفى موضع آخر ( مخ 19 ، ص 29 ) : « دار السعادة وهي سكن نائب السلطنة » .
- (28) هذا هو معنى كلمة « هيئة » احيانا . ويروي ابن بطوطة ( مخدى كايانكوس ، ص 163 ) ان سلطان الهند منح كل مدينة « صاحب الخبر » اى مستخدما يعلمه عن وصول الغرائب . ويضيف بهذه المناسبة : « وكتبوا اسمه ونعته وثيابه واصحابه وخياله وخدامه وهيئته من الجلوس والمأكل » . ونجد بعد ذلك حول كلمة مئزر الجملة التالية ، المستعارة من كتاب لابن اياس : « ومئزر صوف ابيض تردى به كهية الصوفية » .
- (29) راجع لين ( المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 43 ) : « كان الكتبة المصريون القدماء ورجالات الادب وكثيرون غيرهم ، يحمل كل منهم دواة من الفضة او النحاس او الصفر » .
- (30) راجع معجمي حول كلمة القميص .
- (31) النووي ، تهذيب الاسماء ، ص 33 .
- (32) راجع معجمي حول كلمة السروال .
- (33) راجع معجمي حول كلمة الجبة .
- (34) انظر النووي ( الكتاب القيم السابق ومعجمي حول كلمة القباء ) .
- (35) راجع معجمي حول كلمة البردة .
- (36) راجع معجمي حول كلمة العمامة .
- (37) النووي ( الكتاب القيم السابق ) .

منه في الجهة الخلفية ، وكان يعمل من القماش الاحمر او الازرق او الاشهب (43) . وكانوا يلبسون فوق الجبة ثوبا فضفاضا يدعى ( فرجية ) تعمل من المواد الرنيئة عادة وقد تبطن احيانا بالفرو او بغيره (44) . اما الاعتماد فكان يتألف باديء الامر من طاقية صغيرة من النسيج القطني (45) ثم تلاها الطربوش الاحمر (46) المصنوع من القطن المضغوط ، واخيرا جاء دور القطعة القماشية من الموصلية المحيطة بالراس (47) احاطة السوار بالمعصم الا وهي العمامة . وكانت الاحذية تعمل من الجلد المراكشي الاحمر (48) . ان جمال وكمية الثياب تخلع في الشرق الابهة والوجاهة على مرتديها . ويقول المثل الفارسي : « قربت بلباس » (49) . ومعنى ذلك كما يقول تافرنبيه : « يحسن استقبالك وتكريمك وقبولك لدى البلاط وفي اوساط العظماء بقدر ما يكون هندامك حسنا » . اما في مصر ، فاننا نقرأ في وصف مصر ( الاطلس ، الجزء الثاني ، الصفحة 24 ) : « كلما زاد تكديس الوجاهة للملابس على ابدانهم زاد اعتبارهم وفاض عليهم الاحترام الذي ينشدونه » .

اذن فلا غرابة ولا عجب اذا راينا الشرقيين يعنون كل العناية بنظافة ملابسهم وتعطير اجسامهم بالروائح العطرية الفواحة . ونجد في كتاب الاغانى (51) : « ملاء مطيبة » . ونقرأ في تاريخ مصر للنويري (52) انه وجد بين كنوز أحد العظماء : « لعبة من العنبر على قدر جسده يرسم ثيابه توضع ثيابه عليها لتكتسب

احدهما على منتصف القدم ويمر الاخر بين الاصبع الكبرى والثانية ، وكان في بعض الاحيان ينتعل الخف العالي الرقبة (38) .

وهكذا نرى ان ملابس الرسول كانت من البساطة في الدروة ، وهي نفسها بساطة ملابس سكان الصحراء في يومنا هذا (39) .

ولا يرتدي البداة في عصرنا الحالي الا قميصا من القطن وثوبا طويلا ، او رداء من الصوف بدلا من هذا الثوب ، اقتداء بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

ويتألف زي رجل من سكان القاهرة في القرن السادس عشر من عدد من الملابس العديدة ، ولم نعد نلاحظ في هذه القطع تلك البساطة التي كانت تميز زي النبي ، وما زالت بادية للعيان في ازياء البدويين ، فكانوا يرتدون فوق القميص والسروال ثوبا طويلا اسمه ( قفطان ) وهو نسيج من الحرير ، على السوان مختلفة مختلطة ببعضها (40) ، وهذا الثوب كان لهردنان في غاية الطول (41) . وكانوا يشدون على القفطان حزاما طويلا من الحرير او من الليف او من الصوف (32) وتلي ذلك الجبة ، او الرداء الطويل المفتوح من الجهة الامامية ، التي كان رداها قصيرين ولا تصل تماما الى المعصمين بحيث يمكن رؤية ردي القفطان الطويلين وقد تجاوزا الاصابع .

ان هذا الرداء كان اكثر قصرا في الجهة الامامية

(38) راجع معجمي حول كلمة النعمل .

(39) راجع معجمي حول كلمة الخف ، والنووي ( الكتاب القيم السالف ) .

(40) انظر بركهارت ، ملاحظات على البدو والواهبيين ، ص 26 ، ومعجمي حول كلمة الفنباز .

(41) انظر معجمي حول كلمة الخفتان .

(42) انظر معجمي حول كلمة الحزام .

(43) انظر هيلفريش ، قصة رحلة مختصرة حقيقية ، ص 393 ، ومعجمي حول كلمة الجبة .

(44) معجمي - الفرجية .

(45) معجمي - الطاقية والقبع .

(46) معجمي - الطربوش .

(47) معجمي - العمامة .

(48) معجمي - المركوب .

(49) راجع شاردان ، الرحلات ، ج 3 ، ص 72 ، تافرنبيه ، الرحلات ، ج 1 ، ص 631 ، ريجاردسون ، حول كلمة القربة .

(50) الاطلس ، ج 2 ، ص 24 .

(51) ج 2 ، ص 41 . ( النويري ، مخك (2) ص 154 ، حوادث عام 515 .

(52) مخط ل ، ص 66 .

رائحتها » (53) وتقرأ كذلك هذا البيت في كتاب الف ليلة وليلة :

وتيس بين مزعفر ومعفر

ومعبر وممسك ومصنل

ونعثر في مكان آخر من الكتاب نفسه على هذه العبارة : « لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة » (55) . ونقع في الكتاب ذاته أيضا على هذه الجملة : « فعمدت تبخره ( القناع ) فطارت شرارة فاحرقت طرفه » (56) .

ويقول بركهارت عن وهابي نجد أنهم يعطرون بعناية كوفياتهم بمطور من المسك والورس .

وهم يعطرون اردان الثياب بصورة خاصة .

وتقرأ في كتاب « قلاند العقيان » للفتح بن خاقان ، هذين البيتين لابن زيدون :

اعباد يا اوفى الملوك لقد سطا

عليك زمان من سجيته الفدر

فهلا عداه ان عليك حليه

وذكرك في اردان ايامه عطر

وفي قصيدة للمتنبى :

انت زائرا ما خامر الطيب ثوبها

والمسك من اردانها بتضوع

وهو بيت ينظر الى بيت لامرئ القيس :

الم ترياني كلما جئت طارقا

وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وقد جرت العادة في تكريم ذات من الذوات ان

(53) ترجمة النص الخاص بالنعبة .

(54) طمكناكتن ، ج 1 ، ص 169 .

(55) ج 1 ، ص 568 .

(56) ج 3 ، ص 182 .

(57) ملاحظات على البدو والوهابيين ، ص 131 .

(58) ابن زيدون ، لدى ابن خاقان ، ص 38 .

(59) الديوان ، مخ 542 ، ص 22 . راجع الواحدي وابن جنس .

(60) وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 351 : « وأول من علمته خلع عليه من اهل الدول جعفر بن

يحيى البرمكي .

(61) تاريخ مصر ، مخ 2 م ، ص 215 .

(62) في تعليقه على تاريخ اليمن ، رجس ، ص 140 .

تخلع عليه ثياب التشريف ، وهي عادة قديمة في الشرق . ومع ذلك نرى اذا مننا الى تصديق ما يقوله المقرئ ان اول من مارس هذه العادة من امراء المسلمين هو هرون الرشيد بخلعه ثياب الشرف على نديمه جعفر بن يحيى البرمكي . قال المقرئ (60) بالحرف الواحد في الجزء الثاني من مخطوطة « وصف مصر » : « وأول من علمته خلع عليه من اهل الدول جعفر بن يحيى البرمكي » .

ان لباس التشريف يسمى خلعة ويدعى في العصور الاحداث من العصور القديمة تشريفا . وكان من الامور المعروفة يوم دخول هذه العادة ان يخلع الامير الرداء الذي يرتديه ويكسو به الشخص الذي رام تشريفه او مكافاته ، ولكن لا يبدو في اعقاب ذلك ان الامراء كانوا لا يهبون الا الثياب التي كانت في خزائن ملابسهم الخاصة ، او الثياب الجديدة ، ولكن خلع الثياب كان دائما دلالة على التشريف بان يلبس المرء الثياب التي كان يرتديها الامير نفسه ، ولم يفعل المؤرخون ذكر هذه الظاهرة (61) .

ويقول النويري : « انعم على الامير سيف الدين قلاوون بشربوش كان قد لبسه » .

ولو اردنا ان نقرر على وجه الدقة من اي ملابس كانت تتألف الخلعة او التشريف في مختلف الاحقاب لواجهنا مشكلة عويصة للغاية بالاضافة الى انه يخيل لنا ان الثياب التي كانت تؤلف الخلعة خلال حكم بعض السلالات كانت تتوقف على اختيار الامير التحكيمي . ومع ذلك فان فييرس (62) يخيل اليه ان الخلعة تنحصر في الاغلب الاعم او في الحالات الخاصة بالقباء ، ولكن يجب علي ان ابرهن ان هذا الرأي غير قائم على اساس . صحيح ان ملابس التشريف في

للزينة فقط ، فان شيطان الكره او الانتقام يستخدمها لينتزع من العدو الحياة بصورة دنيئة . ونحن الغربيين نعلم ان الملابس كانت تستخدم في العصر الوسيط للفرض نفسه . وان قلة من الامثلة المقتبسة من التاريخ الاسلامي لكافية للبرهنة على ان هذا الشار الخسيس لم يكن غير معروف في الشرق . ويقص علينا النويري (74) ان السلطان الايوبي الملك المعظم كان قد اضر في نفسه حقدا عنيفا لقاضي القضاة ، لان هذا القاضي كان اقنع اخت صلاح الدين ( ست الشام بنت ايوب ) ان توصي بأموالها الى المؤسسات الخيرية . ولما كان الملك المعظم يطمح هو نفسه الى احراز هذه الاموال فان آماله قد خابت نتيجة لحماية القاضي . فبحث الامير خلال بعض الوقت عن ذريعة يتذرع بها للانتقام من القاضي ولكن دون جدوى . واخيرا اهتدى الى هذه الذريعة فارسل رسولا الى القاضي وهو في مجلس حكمه يحيط به جماعة كبيرة من العدول والمتحامين . ويمضي المؤرخ في قصته فيقول (75) : « فجاء الرسول وقال للقاضي : « الساطان يسلم عليك ويقول لك : الخليفة سلم الله عليه اذا اراد ان يشرف احدا من اصحابه خلع عليه من ملابسه . ونحن نسلك طريقه . وقد ارسل اليك من ملابسه وامر ان تلبسه في مجلسك هذا وانت تحكم بين الناس . وكان الملك المعظم اكثر ما يلبس قباء

عهد حسن باشا الذي كان يحكم اليمن كانت تقتصر على الاقبية (63) ، ولكن لم تكن الحالة في بغداد وفي مصر مثلا على هذه الشاكلة . وكانت الخامة وكان التشريف مؤلفين من مختلف الملابس . ويعلمنا النويري (64) ان لباس التشريف المنوح من قبل خليفة بغداد الملك الناصر داود كان يتألف من قباء اطلس ومن شربوش . ويروي لنا المؤرخ نفسه في مكان آخر ان الخلعة المعطاة من قبل الخليفة العباسي المعتصم بالله (65) كانت مؤلفة من عمامة سوداء وفرجية مزينة بالذهب . ونقرأ في اسفل هذا الخبر ان لباس التشريف الموهوب من الخليفة كان مكونا من عمامة من الديباج الاسود ومن دراعة .

والخلعة التي كانت تمنح في مصر الى احد الوزراء كانت تتشكل من الجبة ومن فرجية ومن طرحة (66) . وكان التشريف ينحصر كذلك في مختلف الملابس . واخيرا هناك كلام آخر للنويري (67) يدل دلالة واضحة على ان حلل التشريف كانت تتباين بالنظر للقماش المصنوعة منه (68) وللجزاء التي تتألف منها (69) وذلك حسبانا للطبقة التي ينتمي اليها الرجل موضوع التشريف والمكافأة ، او حسب الخدمات التي كان قد اداها للامير (70) .

اما لباس الشرف المعطى من قبل الخلفاء العباسيين فقد كان على وجه التأكيد اسود اللون (73) . ولا تستعمل الالبسة في الشرق لسوء الحظ كأداة

- (63) راجع تاريخ اليمن ، مذ 477 ، ص 18 ، 34 ، 60 ، 61 ، 112 ، 176 ، 284 ، 298 ، 319 .  
(64) تاريخ مصر .  
(65) المرجع السابق ، ص 82 ، حوادث عام 643 .  
(66) المرجع السابق ، ص 144 .  
(67) النويري ، المرجع السابق ، مذ 2 ن ، ص 32 .  
(68) راجع النويري ، المرجع السابق ، مذ 2 و ، ص 58 ، 75 ، 83 ، 116 ، مذ 19 ب ص 22 و 23 ، 135 .  
(69) المرجع السابق ، مذ 19 ب ، ورقة 25 ، ص 30 .  
(70) راجع النويري ، المرجع السابق ، مذ 2 ، ص 49 ، 82 ، 144 ، مذ 19 ب ، ص 3 ، كامفر ، التحف النادرة ، ص 65 ، وتعليقة سملية على كلستان سعدى ، ص 46 .  
(71) راجع النويري مثلا ، تاريخ مصر ، مذ 2 ن ، ص 28 .  
(72) النويري ، المرجع السابق ، مذ 2 ، ص 215 .  
(73) راجع ابن بطوطة (الرحلة ، مذ دي كايانكوس ، ص 194) .  
(74) تاريخ مصر ، مذ 2 م ، ص 18 .  
(75) ص 19 .

أبيض وكلوتة صفراء . وفتح الرسول البقجة (76) .  
فلما نظر القاضي الى ما فيها وجم « (77) .

قال الشيخ شهاب الدين ابو شامة : « فأخبرني الرسول الذي احضر هذه الخلعة والرسالة بذلك قال : وكان السلطان قد أمرني ان البسه اياها بيدي ان امتنع او توقف . فاشرت عليه بلبسها واعدت عليه الرسالة . فأخذ القباء ووضع على كتفه ووضع عمامته بأرض ولبس الكلوتة الصفراء على راسه . ثم قام ودخل بيته » . وتضيف المخطوطة : « ومعرض اثر هذه الحادثة ورمى كبده ومات » . ويقال ان ذلك كان فى يوم الاربعاء سابع وعشرين شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة وسبع مائة ( النص كما هو - المترجم ) . ومات ملك قشتالة ( دون انريك ) مسموما طبقا لما تقوله بعض التواريخ الاسبانية ، وذلك لان ملك غرناطة محمد كان قد اهدى اليه حذاء طويل العنق مشعبا بالسموم (79) .

وكان الرجال والنساء يرتدون الثياب السود على حد سواء فى العهود القديمة علامة على الحداد ، وذلك لاننا نعلم ان زي الخلفاء العباسيين الاسود كان قد اتخذ كشارة من شارات الحداد بسبب وفاة الامام ابراهيم بن محمد . وتقرأ كذلك فى تاريخ مصر للنجيري ما يلى : « شق القاهرة وهو لابس السواد واعلامه كذلك حزنا على الظاهر » . ولكن لم تعد البسة الحداد تلبس بعد هذه العصور من قبل الرجال ، وذلك لان هذا يعنى عدم الخضوع لمشيئة القدر والحكمة الالهية (81) . ومع ذلك فان النساء ما زلن يرتدين

البسة الحداد فى الشرق ، ولكن بمناسبة وفاة الأزواج والأقرباء . فنحن نقرأ فى الإحاطة لابن الخطيب ، ان الشاعرة الشهيرة حفصة عشيقة ابي جعفر أحمد بن سعيد الشاعر الذائع الصيت ووزير حاكم غرناطة ، لبست الحداد لدى علمها بقتل حبيبها (82) . ولكن هذه الحالة ولا ريب استثناء من القاعدة .

وينحصر الحداد فى أن تصبغ النساء القميص وخمار الرأس وحجاب الوجه والمنديل باللون الأزرق القامق أو باللون الأسود على وجه التقريب ، مضافا الى اللون النيلي . وفى ان يرتدين ملابس الحداد سبعة ايام أو خمسة عشر يوما أو أربعين يوما أحيانا (83) .

اما فى الأندلس أثناء حكم الخلفاء الامويين فان ملابس الحداد كانت بيضا ، لاننا نقرأ فى تاريخ الأندلس ( نفع الطيب ) للمقري : « عليهم الظواهر البيض شعار الحزن » .

والعرب يرتدون الملابس الحمير أو الصفر (المعصرة) حين يريدون اظهار انهم فى أوج سورة الغضب . فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة : « لبس بدلة الغضب وهي بدلة حمراء » . ولكن ربما كانت هذه العادة شنشنة تركية (86) .

وفى المغرب يشير اللون الاصفر الى الغضب ، ذلك لان ( بيدرو دي سان أولون ) (87) و ( وندس ) يلاحظان ان ملوك مراكش ، اذا نوا سفك الدماء ، فانهم يرتدون فى معظم الحالات الملابس الصفر .

(76) انظر حول كلمة البقجة او البقشة ، التعليقة حول كلمة التحنانية .

(77) وضعت وجم محل وجم الواردتين فى المخطوطتين .

(78) مؤلف كتاب الروضتين الشهير ( تاريخ نور الدين وصلاح الدين ) .

(79) راجع كوندته ، تاريخ حكم العرب فى اسبانيا ، ج 3 وكوباروقياس ، كنز اللغة القشتالية ، مدريد ، 1611 ، حول كلمة Barzegui

(80) مخ 2 ك (2) حوادث عام 549 .

(81) ان المخطوطة ب ( مخ 2 ل ، ص 75 ) تضيف : « وبنسوده » .

(82) مخ دى كايانكوس ، ص 38 : « ولما بلغ خفصة قتله لبست الحداد وجهرت بالحزن » .

(83) بركهات ، أسفار فى الجزيرة العربية ، ج 2 ، ص 274 ، لين ، الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 134 ، 518 . مقتبسات من قصة عنتره ، ص 92 ، 154 ، الف ليلة وليلة ، ط مكناس ، ج 1 ، ص 339

(84) مخ دى غوتا ، ص 85 .

(85) تحدثت عن كلمة بدلة فى احدى التعليقات على هذا الكتاب .

(86) راجع تعليقة لين حول هذه الفقرة ، ج 2 ، ص 326 ، 327 .

(87) الحالة الراهنة للإمبراطورية المراكشية ، ص 63 ، 172 .

(88) رحلة الى مكناس ، ص 133 .

## الاتب و المتببة

الكاز ويطلب من مصر . والنساء المذكورات يصفنه طيات على الاكتاف ، ويعلقنه حول اجسامهن بمعونة حزام» والاتب بصورة عامة يعني كافة الملابس القصيرة التي لا تصل الى اكثر من منتصف السيقان ، كما ان الاتب يعني - ايضا - نوعا من السراويل القصيرة ، السروال الذي لا فتحة فيه لدخول السيقان ، او انه قميص لا كم له .

## المتبب

لا وجود لهذه الكلمة لدى الجوهري . ولكن تشير هذه الكلمة حسب رأى القاموس (طكلكتا ص 43) الى نفس اللباس المشار اليه بكلمة مشمل ، وهو رداء يشتمل به ( المتبب كمنبر . المشمل ) راجع كلمة مشمل .

## الأخروق

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكن يخيل الي انها تعني ضربا من ضروب تيجان الرأس المستعملة فى المغرب . يقول ابن بطوطة ( الرحلة ، مخطوطة دى كايانكوس ) فى مقاله عن بلغار الفولك : وعلى رأسها البغطاف وهو أخروف ( كذا ) مرصع بالجواهر وفى أعلاه ريش الطواويس . ويقول بعد ذلك وعلى رأس كل واحدة من البنسات ( الخادومات ) الكلا ( كلاه بالفارسية ) وهو شبه الاخروف ( كذا ) وفى أعلاه دائرة ذهب مرصعة بالجواهر وريش الطواويس من فوقها . ويستخلص من الفقرات السالفة ان كلمة أخروق كانت تعني فى المغرب : « نوعا من التيجان الصغيرة » . ( راجع الف ليلة وليلة ت لين ، ج 1 ص 424 ) المعمولة من الذهب ، المرصعة بالأحجار الكريمة ، التي يستعملها النساء أغطية لرؤوسهن وتحليا بها . ولعلها نفس الزينات الرأسية التي تحمل فى اقطار الشرق الأخرى اسم تاج (2) .

وبعد فاننا نقرأ لدى الجوهري (ج 1 م مخ ص 85) اتب الاتب البقير وهو ثوب او برد يشق فى وسطه فتلقيه المرأة فى عنقها من غير كم ولا جيب والجمع « اتوب » . وفى القاموس (طكلكتا ص 443) الاتب بالكسر والمتببة كمكنسة برد يشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمين ، والبقيرة ، ودرع المرأة ، وما قصر من الثياب فنصف الساق ، او سراويل بلا رجلين ، او قميص بلا كمين . وقد وجدت فى مجمل اللغة لابن فارس ( مخ 485 ) الاتب كالبقيرة . وينتج من هذه الشروح ، التي قدمها اللغويون العرب ، ان الاتب والمتببة يعملان بصورة عامة من قطعة قماش (1) وبصورة خاصة من قطعة قماش مخططة ، تشق من وسطها ، وحينئذ تدخل المرأة رأسها من الفتحة المعدة لهذا الغرض . وهذا الثوب محروم من الكمين ، وغير مفتوح من جهة الصدر . ويخيل لنا ان بساطة هذا الثوب تشير الى ان هذا اللباس كان يرتدى فى العهود الإسلامية الاولى ، وما زال النساء - حتى يومنا هذا - يرتدينه فى شبه الجزيرة العربية لان علي بيك يقول فى ( الاسفار ، ج 2 ، ص 106 ) وهو يتحدث عن نساء مكة : « انهن ما يفتان يلبسن القميص ، على هيئة عجيبة غريبة للغاية لا تكاد تصورها . ويتألف هذا القميص من قطعتين مربعتين من القماش ، طول كل منهما ست أقدام وعرضها خمس اقدام مخططة بصورة مجتمعة من الأعلى ، حاشا فتحة فى الوسط ينساب منها الرأس . اما الزوايا السفلية فمقورة بمقدار سبع بوصات تقريبا ، وكأنها جزء من دائرة ، بحيث ان ما كان فى بدايته زاوية يصبح تقويرة مقفورة . وهاتان التقويرتان مخطتان معا ، ولكن الجزء السفلي والجوانب تبقى مفتوحة من الأعلى الى الأسفل ، وترتدي موسرات النساء هذه الاقمصة المعمولة من النسيج الحريري المخطط تخطيطا خفيفا دقيقا . وهو رقيق رقة

- 1) ان كلمة ثوب تعني ايضا قطعة قماش ، فنحن نطالع فى الف ليلة وليلة : فمضيت وعمدت الى ثوبين من الدباج الرومي وجئت بهما اليه وقلت للخياط فصل هذه أربعة ملابس اثنتين مفرجة واثنتين غير مفرجة . ونقرأ فى مكان آخر من الف ليلة وليلة ايضا : « اقطع لها من هذا الثوب كسوة وخطيها . وقال والله ما ارضى لنفسى من جميع ما معي كفا اكفن فيه فتصدق علي بكفن » . فبعت اليه نصف ثوب بغدادى ومائتى درهم فكفونوه بهما . ( تاريخ مصر للنويري (مخطوطة 2) ) .
- 2) ان كلمة بغطاف التي يستعملها هنا ابن بطوطة ( بالفارسية بفتاف ) وجدت مشروحة بعد ذلك على هذه الشاكلة : « وعلى رأس الخاتون البغطاف وهو مثل التاج الصغير ، مكلل بالجواهر وبأعلاه ريش الطواويس » .

## الازرار والازرار ، وفي اللهجة المصرية الازرار

كان يبدو في العهود الاسلامية الاولى ان كلمة ازار قد استعملت لتعني ثوبا بصورة عامة مهما كان شكل هذا الثوب . فالبخاري (صحيح ، ج 2 مخ 356) عنده باب يحمل عنوان : باب الازرار المهذب (1) يقول فيه : ويذكر عن الزهري وابى بكر محمد وحزمة بن ابى اسيد ومعاوية بن عبد الله بن جعفر انهم لبسوا ثيابا مهذبة . والمسألة في هذا الكلام هي مسألة ثياب بصورة عامة ، وينبغي ان تضيف الى ذلك ان القاموس ( ط كلكتا ، ص 451 ) قال في ضمن ما قاله ان كلمة ازار تعني كل ما سترك . ومع ذلك فمن المحتمل ان المؤلف اراد ان يشير بصورة خاصة الى الاردية المسمى واحدها ازارا ، وهي الازر التي كان يشتمل بها الرجال في عهد محمد ( ص ) .

ويخيل اليانا ان رجال عمان كانوا مشهورين بهذه الازرار ، لاننا نقرا في عيون الآثار ( مخ . 340 ) ان الرسول قد ترك يوم وفاته ، فيما تركه من ثياب اخرى ازارا عمانيا . وهذا ما يجعني اعتقد جازما ان المعنى في الكلام السالف بالازرار هو الرداء ، ذلك لان المؤلف ابا الفتح محمد او بالاحرى مستنده ابن فارس قد ذكر بالاضافة الى ذلك ثوبين من تلك الثياب التي يسمى مفردها حبرة . ( راجع كلمة حبرة في موضعها من هذا المعجم ) . ونجد كذلك كلمة ازار مستعملة في محل كلمة بردة بالمعنى نفسه . وقد ترك محمد ( ص ) كذلك ازارا آخر ، مما تحدث عنه في موضع من المواضع التالية .

اما في العصور المتأخرة ، فيبدو ان كلمة ازار لم تعد تستعمل لتعيين رداء من اردية الرجال ، ولكن هذه الكلمة قد استعملت طوال عهود الاسلام ، منذ عهد محمد ( ص ) حتى ايامنا هذه ، للدلالة على هذا الفطاء الكبير او الرداء الواسع الذي تلتف به نساء الشرق . ولننظر اول ما ننظر الى لين كيف يصف هذه اللقافة ولنجاهد بعد ذلك في البرهنة باستشهادات عديدة على ما قدمناه نحن من زاي . اما المحقق الانكليزي - وهو مشهور بجدرارة واستحقاق بنفاذ بصيرته - فيصف الازرار على الهيئة التي ترتديها بها

النساء المصريات في يومنا هذا ( الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 210 ) . وراجع كذلك كتاب ( المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 63 ) اذ يقول : « الازرار هو قطعة من النسيج تلتف بها النساء العربيات عادة ، عندما يبرزن للجمهور . عرض هذا الازرار ذرعان او اكثر من ذلك ( حسب طول المرأة المشتملة به ) . وطولسه ثلاثة اذرع ، وتسحب النساء من قسمة الخلفي حاشية على الجزء العلوي من الراس وعلى الجبين ، ويعلقن هذه الحاشية حينئذ بشريط مخطط من الداخيل ، اما البقية فتتدلى الى الخلف والى كل جهة حتى تبلغ الارض ، او تكاد تمسها ، وهذا الازرار يلف الجسم كله تقريبا ، لان المرأة تمسك بنهايته بصورة تجعله يلفها من الجهة الامامية ايضا ، وهكذا تغيب في هذا الكيس . وعلى هذه الهيئة يخفي هذا الثوب كل قطع الحلل الاخرى الملبوسة عدا جزءا صغيرا من الثوب الواسع الفضفاض ( ثوب او سبله ) هو جزء آخر من اللباس الفرض منه تمكين المرأة من التجول او من ركوب الخيل او ركوب الحمار ، وهناك خمارة الوجه . وهو يصنع الان بصورة عامة من الخام الابيض . وهذا النوع من الازرار كان مستعملا في عهد محمد ( ص ) ، ففي صحيح البخاري ( ج 2 ، مخ 256 ) في الباب الذي سبق لنا ذكره عن الازرار المهذب ، نقرا القصة التالية ، مستندة الى رواية عائشة : قالت : « جاءت امرأة رفاة القرظي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا جالسة وعنده ابو بكر فقالت يا رسول الله اني كنت تحت رفاة فطلقني وبنت طلاق فتزوجت بعده عبد الرحمن بن زبير وانه والله ما معه يا رسول الله الا مثل هذه الهدية » واخذت هدبة من جلبابها . فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يؤذن له . قالت فقال خالد : « يا ابا بكر الا تنهي هذه عن ما تجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم » فلا والله ما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا التيسم . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك تريدين ان ترجعي الى رفاة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوق عسيلته » ، فصار سنة بعده . وكلمة جلباب حسب رأى الجوهري ( ج 1 مخ 85 ) هي نفس كلمة ماحفة . والملحفة طبقا لآراء المؤلفين الاندلسيين الذين سنجد كلامهم فيما بعد هي الازرار

( 1 ) الصيغة الثانية من فعل هذب لا وجود لها في القاموس .

نفسه . ولنمض الان من شبه الجزيرة العربية الى مصر . واذا نصل الى وادي الكنانة نقرأ في النويري ( تاريخ مصر ، مخ (1) ان العلماء قرروا ، في مجمع من مجامعهم ، ان النساء اليهوديات والنصرانيات سيكن مجبرات على التمنطق بالزناز تحت الازار او حسب رواية اخرى - يبدو أنها أكثر احتمالاً لدى النويري - يشد الزناز فوق الازار لا تحته . واما المرأة فتشد الزناز من تحت الازار وقيل من فوق الازار وهو الاولي . ونقرأ لدى السيوطي ( حسن المحاضرة ، مخ 113 ) : وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة امر بان يكون ازار النصرانية ازرق وازار اليهودية اصفر وازار السامرية احمر . وبهذه الطريقة كان الناس يستطيعون لأول وهلة التفريق بين هذه المرأة وتلك من جهة ممارسة هذا الدين وذلك ، في حين ان المرأة المسلمة كانت ترتدي الازار الابيض فهي متميزة في كل الاحوال . ونجد لدى ابن اياس ( تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 398 ) : وكانت الفاسلة اذا خرجت تفسل مئة تأخذ ورقة من عند المحتسب وتجعلها فوق عصابة مخططة في ازارها حتى يعلم انها غاسلة » . اذ في عام 840 حرم السلطان على النساء الخروج من منازلهن ( . ونجد في الف ليلة وليلة - ط مكناتن ج 2 ، ص 121 ) : عليها ثياب مشرطة وازار وسخ قديم . وفي مكان آخر من الكتاب المذكور ص 134 : ثم اني غطيت عيني وداريت بطرف من ازارني من الناس . وحط فمه تحت ازارني على خدي . وفي موقع آخر ص 229 : كشفت نقابها عن وجهها وقلعت ازارها . وفي موضع آخر ( ج 2 ص 228 ) : وضعت على راسها ازارا عسليا . واخيرا نقرأ في ( ج 3 ، ص 540 ) : وهي ملفوفة في ازار من حرير مزركش بذهب ( والحديث عن جارية تجري عملية بيعها ) ..

ويطيب لي ان اقرر هنا ان اهل مصر اليوم لم يعودوا يسمون الان هذا الرداء او الشملة اذا كانا مصنوعين من الحرير ازارا ، اذ ان هذا الازار الحريري يطلق عليه هذا اليوم اسم حبرة .

وان الرحالة الاوربيين الذين زاروا مصر في مختلف الازمان ، يتحدثون ايضا عن هذا اللباس ، ولكن معظمهم لا يوردون اسمه . فنحن نقرأ في قصة هيلفريخ ما يلي : « ان النساء كن يرتدين حين يخرجن الى مدينة القاهرة اردية متماثلة . واعني بذلك انهن ساعة يزمن البروز من منازلهن تلتحف اجسامهن بقماش ابيض بديع ناعم الملمس ، وانهن يسجن ارديتهن من الجهة الخلفية على الرأس ، وانهن يلقن ملابسهن من الجهة الامامية تحت العنق . وبعد ذلك يلقن أنفسهن بدقة واحكام بهذا الرداء الذي يغطي ذواتهن به حتى مواقع اقدامهن . وان هذه الاقمشة التي يستعملنها كأردية لها من الحاشية العليا نوع من الهدب الحريري الاحمر المرصع بالذهب » . ونقرأ في رحلة منتيكارا ص 190 ان النساء اذا عزم على الخروج من بيوتهن غطين أنفسهن تغطية تامة برداء ابيض من القطن المنقوش ، وهو نسيج يسميه الاهالي بافتة ، وهم يجلبونه من الهند ، ويغطين أنفسهن به من سمت الرأس الى اخمص القدم (2) ولعل وايلد ايضا يتحدث في كتابه ( ص 204 ) عن الازار حين يقول عن نساء مصر : « ان النساء المصريات - اثناء سفرهن او ساعة خروجهن من منازلهن - يرتدين لباسا ابيض على رؤوسهن ليستترن به » . ويتحدث كورني ( ص 218 ) في رحلته عن النساء العربيات في القاهرة فيعبر على هذه الصورة : « انهن حين ينطلقن خارج دورهن يضعن على رؤوسهن وعلى اجسادهن لباسا من القماش الابيض يغطيهن تغطية شاملة بحيث لا يدع لهن شيئا يقات من هذه الظلمة سوى عيين واحدة ، تستطيع ان تهدي كل مرأة الى طريقها . ان هذه الاغطية تشبه تلك التي يستعملها الاسبان » .

ويجب علي ايضا ان الفت النظر الى ان كلمة ازار في مصر تلفظ وتكتب كذلك ( ازار ) . ولقد رأينا سالفا ان هذه الصيغة استعملت من قبل ابن اياس . وهي بعد ذلك ليست نادرة الوقوع في نص الف ليلة وليلة الذي نشره هايخت . راجع مثلاً الجزء الاول من الصفحات 194 ، 310 و 352 مكررة و 356 . وراجع ايضا بركهارت ( الامثال العربية رقم

( 1 ) يخلط المستشرق الطائر الصيت سيلفستري ساسي بين الزناز والحزام . فالزناز في مصر هو حزام الشعوب دافعي الجزيرة ( اليهود والمسيحيين والسامريين ) اما زناز المسلمين فهو الحزام ! .

( 2 ) يبدو اذن ان الكلمة الفارسية بافتة كانت مستعملة في مصر ايضا . ففي كتاب آيين اكبرى ( ج 1 ص 98 ) ان البافنة هي اسم من بين اسماء المنسوجات القطنية .

ترتدي ازارا مصنوعا من القطن الابيض الدقيق .  
ويبدو لنا ان الازار لم يعد مستعملا في يومنا هذا في  
فاس ومراكش ، ذلك لان المحقق المدقق الدانمركي  
هوست لم يتحدث عنه .

اما في مالطة فيكتبون ويلفظون كلمة ليزار  
وكلمة ليزور . فالكلمة الاولى في حالة الافراد  
والكلمة الثانية في صيغة الجمع . وهذه الكلمة تعني  
في هذه الجزيرة ايضا شملة واسعة ( راجع فاسالي  
اللغة المالطية ، المجموعة 442 ) .

وكان الازار مستعملا في سورية ايضا ، وما  
برح مرتدي في تلك الربوع حتى يومنا هذا . ونحن  
نقرا في رحلة هيا فريج ان النساء في اورشليم  
يتكيسن في شملة بيضاء بدلا من الرداء الذي يلف  
رؤوسهن وكافة ثيابهن ، بحيث انك لا تستطيع تمييز  
هذه المرأة من المرأة الاخرى ، وهي الحالة السائدة  
في القاهرة . ويقول لويس دي فارتما ان النساء في  
دمشق مرتديات افخر الحل الحريرية ، اما ملابهن  
الفوقانية فهي من القطن الابيض الناعم ، وهذه  
الملابس لينة الملمس دقيقة الصنع كأنها قدت من  
الحرير . ويروي دانديني في (رحلة من جبل لبنان ،  
ص 46) ان نساء طرابلس في سورية يلتحفن لدى  
خروجهن - التحافا تاما في شرشف من الكتان  
الابيض او من القطن بحيث ان الناظرين اليهن لا يرون  
حتى ايديهن بالرغم من تملكهن حرية تحريك اذرعتهن  
وايديهن . اما دارفيو في كتابه (مذكرات ، ج 6 ،  
ص 446) فيقول ان النساء الحليات يرتدين فوق  
ثيابهن دنارا واسعا من القماش الابيض ، يغطيهن من  
رؤوسهن الى اقدامهن . ويقول فون ريشتر وهو في  
صدد الحديث عن عرائس التجار الافرنج في حلب :  
« ان زي السيدات هو الزي العام السائد على الساحل  
السوري ، فهن حين يخرجن يرتدين شملة بيضاء  
يدفعنها من الوراء على الرأس ، ويعقدنها من الامام  
تحت الانف ، بحيث انك ان لم تكن على معرفة خاصة  
بالانوف لن تستطيع التعرف على المتكرات في هذه  
الهيئة . واخيرا يقول المقدم نايبه ، وهو يتحدث عن  
نساء بيروت ( ذكريات عن سورية ، ج 1 ، ص 117 ) :  
« انهن ملتفات التفافا تاما بالازار او بالشملة الطويلة  
البيضاء التي تلف الرأس فتخفي الوجه وتسقط على  
الارض في طيات عديدة ، بحيث انهن لا يكدن يعرفن  
من قبل اصداقتهن او من قبل ذويهن الاذنين » .  
( راجع الكتاب نفسه ، ج 1 ، ص 133 و 134 ) .

56 ) فهو يكتب هذه الكلمة على نفس الهيئة حين  
يروي المثل التالي : « ان لقيتها قطع ازارها قال  
الدورة على لم الشمل » . وترجمتها عندي : « اذا  
وجدتها فاشطر ازارها شطرين » . فيجيبه الآخر :  
« المهم في اللحظة الراهنة هو ايجاد الفرصة  
لملاقاتها » . ( ومع ذلك فبركهارت يتوهم حين يقول :  
« ان الازار هو شملة المرأة المصنوعة على وجه العموم  
من الحرير الاسود او من القطن من نفس اللون » .  
فاذا كانت الشملة التي نتحدث بشأنها سوداء فتسمى  
حبرة . واخيرا فان لين يجزم بصراحة بأن الناس في  
مصر يقولون ( ازار ) .

فاذا تركنا مصر ايضا وعبرنا الى بلاد البربر ،  
وجدنا الازار ، في القرن السادس عشر وفي القرن  
السابع عشر في مراكش وفي فاس . اذ يقول  
ديكردي تورييس في ( قصة الشرفاء ، ص 86 ) في  
معرض الحديث عن سيدات مراكش : « انهن يرتدين  
فوق فساتينهن لباسا طويلا يسمينه ازارا ، وهو  
الذي يسمونه في غرناطة ملحفة ، وهي مصنوعة من  
الحرير او من الصوف مع زركشات وحواشي من  
الجوانب مطوية طيات غاية في الذوق والابداع بحيث  
تتعلق بالصدر بالاضافة الى ترصيعها ببعض الحلقات  
والاقراط ومواد الزينة ويخترقها دبوس . وهذه  
التحليات - ذهبية كانت ام فضية - انما هي لدى  
الاغنياء . اما لدى الطبقات الاخرى فهي من المعدن »  
ونقرا كذلك في موضوع النساء في فاس في كتاب  
دي مارمول ( وصف افريقيا ، ج 2 ) : « ان النساء  
على جانب مفرط من الجمال ، ولو انهن لسن  
متعفات في أغلب الحالات ، وهن يرتدين الالبسة  
باناقة رائعة للغاية ، ويتزين لدى خروجهن من  
منازلهن بالملابس البيض الفاخرة المصنوعة من  
الذهب ومن الحرير ، وتلف فوق هذه الملابس  
الملاحف او الازر المعمولة من النسيج الهولندي  
الفاره ، المزينة من نهاياتها بالحرير الملون . وهذه  
الاردية طويلة طول اغطية السرر ، ولكنها ليست  
واسعة سمعتها ، وعليها في جواشها شرائط من  
الحرير الابيض او من لون آخر ، وكلها منسوجة في  
نفس الازار . وبعد ان تلتف النساء بهذه الازر  
يشددنها الى الصدر بخلفة ضخمة من الفضة او  
الذهب ، اما في الصيف فهو الزي الاعتيادي للنساء  
النبيلات . ويخبرنا دابر في كتابه عن افريقيا ص  
241 ان الخادمة التي وجدت ضمن اعضاء سفارة  
ملك مراكش وفاس في امستردام عام 1659 - كانت

ويخيل الي ان الازار كذلك دائم الاستعمال لدى النساء المارونيات . ( راجع لايت . رحلات الى مصر والنوبيا والارض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ص 220 ودقق الصور ) .  
اما فى الجزيرة فيبدو ان الازار هناك نادر الوجود .

ومع ذلك فاننا نقرا فى احدى كتب بكينكهام ( رحلات الى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ص 392 ) ان النساء فى ديار بكر يرتدين احيانا ازهرن المصنوعة من الموصلي الابيض كتلك الازر التي ترتديها النساء فى ازمير وفى دمشق » .

ليس فى مقدوري ان ادع هذه المادة دون ان اترجم بعض فقرات مارمول ( وصف افريقيا ، ج 33 ) ذلك الكتاب الفامض المغمور . اذ يقول الرجل فى معرض كلامه عن النساء المصريات : « انهن يرتدين الثملات الواسعة البيض المصنوعة من القطن الناعم الدقيق الذى يجلب من الهند ، وهذه الاغطية مفصلة تفصيلات مختلفة ، فبعضا يشبه ازر بلاد البربر وبعضها يسمى فى مصر لسيا ( هي كلمة عربية تعني غطاء او خمارا ) فهل اراد بليسيا الازار الذى اعرفه ؟ لا ادري .

ولا بد من جهة اخرى ان يكون مارمول قد زار مصر فى عهد قريب كل القرب من كتابة الف ليلة وليلة ، وقد راينا فى السطور السالفة ان كلمة ازار تظهر احيانا فى هذا الكتاب . واخيرا فان الوصف المعطى من قبل مارمول عن لسيا النساء المصريات ينطبق كل الانطباق على اوصاف الازر التي فرغنا توا من قراءتها . لذلك ان مارمول واهم وانه قد اساء الفهم ، ولكن مارمول كاتب مرموق بحيث لا يسعنا السكوت عن ملاحظاته ولو كانت خاطئة .

اما صيغة ازار فهي نادرة ، ولم اقع عليها الا فى هذا البيت المنسوب للاعشى الذى نقله الجوهري ( ج 1 ، مخ 85 ) ( الكامل ) :

كتميل النشوان يـر

قل فى البقير وفى الازاره

ان كلمة ازار - التي تشير الى الفطاء الواسع الذي تلف المرأة به جسمها كله - قد استعملت من قبل الشعراء للدلالة على المرأة نفسها . فنحن نقرا هذا البيت الذي يرويه الجوهري ( ج 1 ، مخ 85 ) :  
( الوافر ) :

الا ابلغ ابا حفص رسولا

فدى لك من اخ ثقة ازارى

ويضيف اللفوي : قال ابو عمرو الجرمي يريد بالازار هاهنا المرأة . ( راجع القاموس ، ط ككتنا ، ص 451 ) . ولكن لكلمة ازار معنى آخر ايضا . فهي تعني نوعا من التبان لتغطية الارداق والاعضاء الطبيعية ( العورة ) . فنحن نقرا فى عيون الاثار ( مخ 340 ) ان الرسول ترك بين مخلفاته : ازارا طوله خمسة اشبار . وقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين ارتداء التباين والسراويلات خلال ايام الحج ، وامر بالتعويض عنها بالازار . ولكنه قال : « من لم يجد ازارا فليئس سراويل » . ( راجع صحيح البخاري ، ج 2 ، مخ 356 ) . وراجع باب البرانس وباب العمائم . ويقول النويري فى ( تاريخ مصر مخ 2 ) : فاعطاني هذا الازار وقال : « قد احرمت فيه عشرين حجة » . واخيرا يعلمنا وايلد فى احد كتبه ( ص 64 ) ما يابى « وفى تلك الامسية ، واصل الحجاج سفرهم لدى غروب الشمس ، فلم يرتدوا البستهم ، ولكنهم اكتفوا بستر اعضائهم الطبيعية فقط بنسيج ولبف اجسامهم عموما بالاحرام الذى هو قطعة من القماش المصنوع من الشعر . ( راجع كذلك فى الصحيح الكلم النواع ، ص 121 ) . ويروي الرواة ان النبي ( ص ) قال : « انها ستفتح عليكم ارض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال الا بالازار » . ( الرسالة لابن زيد ، مخ 1193 ، ص 747 ) .

ويبدو ان صيغة ازر نادرة الوقوع . فنحن نقرا فى الميداني ( مخ 232 ص 16 ) المثل التالي :  
« ان كنت بي تشد ازرك فارخه » . ويشرح الميداني هذا المثل فيقول : « اي تتكل على فى حاجتك فقد حرمتها » . ويظهر ان كلمة ازر معناها هنا حزام ، كما قال فريتك فى ( الامثال العربية ، ج 1 ص 25 ) او بالاحرى هي كما يقول ازرك بعد نسم همزة الكلمة محل وضع حزامك ، اي وسط الجسم . ولكن الجوهري لم يورد معنى لكلمة حزام وكذلك فعل القاموس ، ولكنني انبه الى ان الحماسة ( طفريتاك ، ص 657 ) قد فسرت معنى كلمة مؤزر على هذا النحو : « قوى من الازر وهو موضع عقد الازار من الحقو » .

### المئزر ، المئزرة ، المئزار

تعني كلمة مئزر تبانا Caleçon وهذا ما يقطع به لين فى ترجمته لالف ليلة وليلة ( ج 2 ، ص 398 ) حيث يقول ان كلمة ميزر او مئزر تستعمل حاليا ( فى مصر ) للدلالة على : زوج من سراويل .

ونجد هذه الشرعة في الفقه المالكي : « لا يدخل الرجل الحمام الا بمئزر » ( ابن ابي زيد ، الرسالة ، مخ 1193 ، ص 747 ) ولدى النويري ان الحاكم بأمر الله ( تاريخ مصر مخ 2 ك ، (2) ص 98 ) أمر « ان لا يدخل أحد الحمام الا بمئزر » . والواقعة ذاتها يرويها المقرئزي ، ويوردها سيلفستردى ساسي ( طرائف عربية ، ج : ، ص 55 النص العربي ) . ونقرا لدى ابن اياس ( تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 249 في حوادث عام 824 ) : « قيل لما ارادوا غسل الملك المؤيد لم يجدوا له الا اناة صغيرا يصون به عليه الماء ولا وجدوا له منشفة ينشفون بها لحيته حتى اخذوا منديل بعض من حضر غسله ولا وجدوا له مئزرا يسترون به عورته حتى اخذوا مئزر بعض الجوارى النائحات وهو مئزر أسود سعدي خشن فسبحان من يعز ويذل » .

ان كلمة مئزر التي لا يمنحها فريثاك الا معنى كلمة باليم (Pallium) اي صدر الكاهن او الشمال او اللفاع الإفريقي ، تعني كذلك قطعة القماش التي تستر العورة ، والتي تلبس من السرة الى اسفل .

ونحن نقرا في رحلة ابن بطوطة ( مخ دى كايانكوس ، ص 226 و 227 ) : « وبها زاوية حسنة فيها شيخ حسن الصورة والسيرة يسمى بمحمد العريان لانه لا يلبس عليه الا ثوبا من سرتة الى اسفل وباقى جسده مكشوف ، وهو تلميذ الصالح الولي محمد العريان القاطن بقرافة مصر . حكاية هذا الشيخ : وكان من اولياء الله تعالى قائما على قدم التجريد يلبس مئزرة وهو ثوب يلبسه من سرتة الى اسفل » .

وتعني كلمة مئزر كذلك : كساء . فنحن نقرا لدى ابن اياس ( تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 281 ، حول حوادث عام 822 ) : « وكان السنطان لابس جبة صوف ابيض وعلى راسه عمامة صفيرة بعدبة مرخاة على كتفه ومئزر صوف ابيض بردى به كهيئة الصوفية » . ونجد في الف ليلة وليلة ( نشر مكنانسن ، ج 1 ص 158 ) : « وضع عليهم ميزرا اسود وصاروا يتفرجون من تحت الميزر » . ويقول فيما يقوله ( فان سليب ) تقرير جديد عن رحلة الى مصر ، ص 307 ) - وهو يصف ازياء رهبان القديس انطوان على سفح جبل كولزم - ان المئزر الذي هو في اللغة القبطية احيانا ( ميزروس ) و احيانا ( بلوز ) هو رداء كبير من قماش اسود بطانته بيضاء ، شبيه باردية الآباء اليسوعيين الا انه بلا ياقة . ولكنهم في غير حالات السفر لا يستعملونه الا في حالات نادرة جدا » . اما في يومنا هذا فان كلمة ميزر لم تعد تستعمل - كما يبدو - بهذا المعنى في مصر . راجع لين ( الف ليلة وليلة ، ج 2 ، ص 398 ) .

اما القاموس فيقول ان كلمة مئزرة لها معنى كلمة باليوم (Pallium) اي صدر الكاهن او الشمال او اللفاع الإفريقي . ولعل المستشرق ( فان سليب ) كان ينظر الى هذه الصيغة حين كتب كلمة ميزر .

واخيرا فان كلمة مئزر تشير الى نوع توك (Toque) قطعة خرقة او مئزر او قلنسوة او طاقية القاضي . ذلك لاننا نقرا لدى ابن بطوطة ( الرحلة ، مخ دى كايانكوس ) : « ومن غريب ما اتفق لي يومئذ اني دخلت فرايت القضاة والخطباء والشرفاء (ص 80) قد استندوا الى حيطان المشور (1) وهو غاص بهم

(1) تعني كلمة مشور في لغة عرب المغرب قاعة في قصر . راجع : مارمول في كتابه ( وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 31 ، مج 2 ) حيث يروي لنا ان قصر امبراطور مراكش يحتوي على قاعتين فخمتين ، تسميان Mexuars حيث يجلس السلطان ، فيعقد في احدى القاعتين المجلس العام الذي يشهده خواص البلاط ، اذ يجتمعون للتشاور وتبادل وجهات النظر في المسائل المهمة بحضور الملك . ويسمى المشور الخاص ، في رسائل ابن الخطيب .

ويترجم بيدرو دى الكالا في كتابه ( مفردات اسبانية عربية ) مجلس الملك : Consejo real ويترجم Chancelleria الى مشور . و secretario الى صاحب المشور . ويذكر ديكو دى تورييس في كتابه ( قصة الشرفاء ، ص 203 ) كلمة Mesuar ، حيث يعقد الملك مجلسه . وفي مكان آخر ( ص 163 ) يقول : وكان الرؤساء والشيخوخ في ال Mezuar ، وهو المحل الذي اعتادوا الاجتماع فيه مع الملك اثناء بحث الشؤون العامة » . وفي جهة اخرى يورد المؤلف بعض الكلام ( ص 317 ) فيقول : « يبدو ان الملك يتناول طعامه في المشور ، ويؤكد نفس هذه الواقعة مارمول ( ج 2

مدريد ، 1611 ) فيقول : الميزر Almaizer عبارة عن لفافة رأس أو برقع مراكشي يشبه الطرحة. وهذه اللفافة مصنوعة من الحرير الخالص الموشى بضروب الالوان مع هدبات وعدبات . ويقول ديكو دي أوربا ان هذه الكلمة بصيغتها العربية تنطق على هذا المنوال : ازار Yzarum فال هي الاداة ، وما - قلنا في مواضع أخرى - هي علامة اسم اداة :

Al-ma-yzerum, almaizar, couverture

ويلف المغاربة هذا الازار حول الرأس ، ويدعون نهايات الحواشي تتدلى على الاكتاف . وبهذا المعنى توجد كلمة اليزل Almaizal أو الميزر almaizar في عدة كتب اسبانية قديمة . وكانت تلبس هذه اللفافة من قبل الرجال والنساء على حد

من جميع جهاته وهم بين باك ومتباك ومطرق وقد لبسوا فوق ثيابهم خامة من غايظ القطن غير محكمة الخياطة بطائنها الى أعلى ووجوهها مما يلي أجسادهم وعلى رأس كل واحد منهم قطعة خرقة أو مئزر أسود وهكذا يكون فعلهم الى تمام اربعين يوما وهي نهاية الحزن عندهم وبعدها يبعث السلطان لكل من فعل ذلك كسوة كاملة . حدث هذا عقب وفاة ابن الملك ايدج . ونجد في تاريخ مصر لابن اياس ( مخ 367 ، 288 ) : « وكان السلطان لابس جبة صوف ابيض وعلى رأسه مئزر ابيض ملفوفا عمامة صغيرة بعدبة مرخاة » . وبهذا المعنى عبرت كلمة المئزر الى اسبانيا تحت صيغة الميزر Almaizar ويعبر معناها كوبروفياس في كتابه ( كنز اللغة القشتالية،

ص 103 ، مج 2 ) . وان مؤلف الكتاب الذي عنوانه « مهمة تاريخية في مراکش ، ج 2 ، مج 2 ، ص 50 ) يكتب Mexuar ، مثل مارمول ، ويفسر هذه الكلمة بأنها قاعة مخصصة للجلسات العامة . ونحن نقرأ في رحلة ابن جبير ( مخ ، ص 190 ) : « وبهذا المشور يجلس السلطان الجلوس العام » . ويبدو أن هذا النوع من القاعات كان معظمه مكشوفاً ان لم يكن كنه . اذ يقول جاكسون في كتابه ( تقرير عن مراکش، ص 121 ) انه يوجد قرب القصر في مدينة مراکش المشور M'shoar أو محل عقد المجلس ، وهو بناية واسعة كثيراً على شكل مربع ، محوطة بجدران، ولكنها مكشوفة ، ويعقد الامبراطور هناك جلساته لسماع أفراد رعيتيه واقامة ميزان العدالة » . وفي كتاب آخر هو ( تقرير عن تمبكتو ، ص 138 ) يقول نفس الرحالة ما يلي : « رفعت خيامنا الخاصة في المشور Mushoir أي في محل عقد الجلسات ، على أرض منبسطة محاطة بسور ، حيث يجتمع الشيخ الى مختلف عشائر سوس فيعظّمها » . ويقول بيدون دي سان اولون في كتابه ( حالة امبراطورية مراکش الراهنة ، ص 75 ) : « ان المشور mishuart هي رجة مكشوفة ، مزدانة بأعمدة ونقوش بارزة من الرخام . ويكتب لمبرير في كتابه ( جولة في مراکش، ص 246 ) mâchoire ويشرح هذه الكلمة بأنها جزء مكشوف من القصر » .

وتدل كلمة مشور كذلك على جزء من قصر منفصل عن بقية العمارة . ويقرر جارنت في كتابه ( رسالة جواباً عن أسئلة غريبة مختلفة ، ص 48 ) : « يوجد قرب قصر مدينة مراکش عمارة فخمة ، تدعى michouar يقطنها العلوج أو المرتدون الذين يرافقون الملك على الدوام لدى خروجه » . ونقرأ في كتاب ( رحلة في ولايات البربر عام 1785 ، ص 48 ) ما يلي : « يوجد عدد هائل من المشاور أو المساكن المنفصلة ، بحيث يستحيل تعدادها » . وبعد ذلك نقرأ ( ص 51 ) : « يوجد مشور عظيم بجوار الاماكن التي تسكنها النساء اللواتي هن في خدمته ، هناك حيث تقع اربعة بناييع وحمامات مزوقة بالمرمر . ويقتصر المشور على اربع مقاصير يتوسطها فناء وحديقة . وهذا المشور قريب الشبه بالدير » .

لقد رأينا أعلى كلامنا هذا ان كلمة مشور تدل بصورة خاصة على القاعة المعدة للاجتماعات . ولهذا السبب فان هذه الكلمة تطلق كذلك على الاجتماع العام نفسه ، كما يؤكد ذلك بصورة قاطعة هوست في كتابه ( اخبار من مراکش ، ص 169 ) وكذلك كرابردى همسو في كتابه ( مرآة جغرافية واحصائية لامبراطورية مراکش ، ص 198 ) .

وتعني كلمة مشور في ايامنا هذه حصناً أو قلعة. راجع : العقيد سكوت ( يوميات اقامة في مخيم عبد القادر الجزائري ( اسم الله ) ص 71 ، 160 ، 236 ، 242 ، 260 ) .

ولعل لكلمة مشور نفس المعنى في كلام ابن بطوطة ( المخطوطة ، ص 268 ) : « والمشور في وسط هذه المدينة وهو كبير جدا ودار الامارة في وسطه وهو يحف به من جميع الجهات » .

سواء . راجع ( اغاني الموريسكيين الشعبية ، ص 237 و 239 الخ - وحروب غرناطة الاهلية ، ص 237 و 239 ) .

وقد عبرت كلمة منزر كذلك الى ايطاليا ، ففي جنوه تطلق كلمة ميزارو Mezzaro على قطعة كبيرة من القماش ملونة مزخرفة تغطي المرأة بها رأسها وكتفيها . راجع : (اوصاف جنوه، عام 1781، مع الصورة) . أما كلمة منزار فلا ا تذكر انني صادفتها .

### البردة ، البرد

قبل ان نورد تفصيلات عن هذا اللباس ، نرى من الضروري ان نؤلف عنه فكرة بالغا ما بلغت هذه الفكرة من قلة الدقة . فدوتكم اذن - كيفية وصفه من قبل لين في ترجمته لكتاب ( الف ليلة وليلة ج 3 ص 241 ) : «البردة قطعة طويلة من القماش الصوفي السميك ، الذي يستعمله الناس لأكساء اجسامهم به خلال النهار والمتخذ كذلك غطاء اثناء الليل . اما لون هذا القماش فاسمر ، او رمادي . ويبدو ان هذا النسيج كان في العهد القديمة مخططا على الدوام» .

والبخاري في صحيحه ( ج 2 ، م 356 ، ص 168 ) يعرض علينا فصلا عنوانه : «باب البرود والحبرة والشملة» الذي نقرأ فيه ما يلي : «وقال خباب شكونا النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له» . والرواية التالية يرويها انس بن مالك . قال : « كنت امسي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه بردائه (1) جبذة (2) شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته . ثم قال يا محمد من لي من مال الله الذي عندك . فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم امر له بالعطاء» . والحديث التالي يروييه سهل بن سعد . قال : « جاءت امرأة ببردة فقالت : هل تدرون ما البردة . قال سهيل : نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها . قالت : يا رسول الله اني نسجت هذه

بيدي اكسوكها . فآخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها . فخرج اليها وانها لازاره . فجلسها رجل من القوم فقال : يا رسول الله اكسنيها . قال : نعم . فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها ثم ارسل بها اليه . فقال له القوم : ما احسنت . سالتها اياه وقد عرفت انه لا يرد سائلا - فقال الرجل : والله ما سالتها الا لتكون كفني يوم اموت . قال سهل : وكانت كفته »

وسنجد الحديث التالي في موضوع كلمة ( نمره ) والحديثين الاخيرين في موضوع كلمة ( حبرة ) .

جاء في عيون الاثار ( م 340 ، ص 189 ) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينبس يوم الجمعة برده الاحمر . ونقرأ للمسعودي ( لدى كوز كارتن ، طرائف عربية ، ص 268 ) ان الخليفة المقتدر العباس كان يضع على كتفيه وصدرة وظهره البردة التي كان يرتديها رسول الله ( والبردة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ) على كتفيه وصدرة وظهره .

ان هذا اللباس كان مستعملا في الاندلس ، فنحن نرى في ملاحظة دي كايانكوس ( المقري ، تاريخ السلالات الاسلامية في الاندلس ، ج 1 ، ص 413 ) ان هذا الرداء كان نوعا من الكساء الغليظ (3) وهناك ايضا كاتب لامع هو ابن خاقان يذكر كلمة برد في مواضع كثيرة من مجازاته واستعاراته - فنجد مثلا هذه الجملة لدى هذا المؤلف في ( فلاند العقيان ، ج 1 ، م 306 ، ص 6 ) : « برد عمره قشيب» . ومعنى ذلك ان حياته تشبه بردا جديدا . ونجد كذلك في مكان آخر ( لدى فيرس ، لابن خاقان ، عن ابن زيدون ، ص 23 ) فوافها والربيع قد خلع عليها برده (4)

ويبدو ان البرد كان معروفا كثيرا لدى فلاحي مصر في الازمنة الفابرة . اذ يقول وايلد في كتابه ( وصف رحلة اسير مسيحي ، ص 204 ) : « ان فلاحي هذا القطر يرتدون فوق قميصهم الواسع الفضفاض بردة طولها عشرة اذرع وعرضها ذراعان يلغون بها

- (1) ان هذا الكلام يبرهن لنا بصورة واضحة ان كلمة رداء تقابل كلمة مانتو Manteau بصورة عامة ، لذلك فلا حاجة لمعاناة القراء عناء البحث عن كلمة رداء في كتابي هذا .
- (2) ان كلمة جبذة لا وجود لها في القاموس .
- (3) راجع كلمة كساء في محلها .
- (4) لقد اشتق الاسبان من كلمة برد صفة هي Burdo التي سموا بها نسيجا غليظا كما سموا بها رداء غليظا .

رؤوسهم ويحيطون سواعدهم وأجسامهم وأوراكهم بسائره ، ويربطونه ربطا محكما بحزام جلدي ، بحيث لا يحتاجون الى تفصيل ولا خياطة باتخاذهم منها ما يشبه مسوح الرهبان وما يماثل الاردان والاثواب والسراويل .

وكانت اليمن بصورة خاصة مشهورة بحياكة الاقمشة التي كانت تصنع منها البرود . ( التويري ، نهاية الارب ، م 273 ، ص 96 ) - وكانت تعمل كذلك في دمياط . واليكم ما يقوله كويان في كتابه ( درع أوروبا ، ص 479 و 480 ) : « ان طائفة من سكان دمياط بارعون في الفنون الميكانيكية ، وقد مهرروا عنى وجه التخصص في حياكة الاقمشة المنقوشة بألوان مختلفة ، وتسمى هذه الاقمشة (بور) Bourgs ولعنها البرشم التي لا أعرف معناها .

### البرطل والبرطـل

يفسر الجوهري ( ج 2 ، م 85 ، ص 180 ) والقاموس ( ط كلكتا ، ص 1396 ) هذه الكلمة بانها قنسوة . راجع هذه الكلمة (1) .

### البرقع - البرقع - البرقوع

اليكم ما نقرا لدى الجوهري ( ج 2 - م 85 - ص 2 ) : البرقع والبرقع للدواب ونساء الاعراب ، وكذلك البرقوع . قال يصف جؤذرا ( الطويل ) :

وخدا كبرقوع الفتاة ملمعا  
روقين لما يعدوان تقشرا

ونحن نعلم عن الشعراء العرب انهم كثيرا ما اوردوا كلمة برقع في أشعارهم - كأمثال المتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهما . ( بعد تفهمنا للبيت الذي استشهد به الجوهري يخيل لنا ان البرقع كان ملونا بمختلف الالوان في قديم الزمان ) وان شعراء العرب طالما ذكروا هذا البرقع في مجازاتهم واستعاراتهم . ولكن يبدو ان هذا البرقع قد زال من عالم الاستعمال في العصر الوسيط من التاريخ العربي - كما يظهر ان سلطنة الازياء قد احلت محله انواعا اخرى من البراقع . وأرى اننا سنحاول عبثا

أجسامهم ويلتحفون بها في الليل » . ولا يتطرق الى ذهني شيء من الشك بتاتا حين يتحدث أحد الرحالة الاقدمين وهو بلون في كتابه ( ملاحظات ، ص 226 ) عن أحد الاكسية بأن هذا الكساء هو البردة نفسها فيقول بان « المصريين يرتدون قميصا طويلا ابيض اللون ليس على شيء من التعقيد في التفصيل ، كما يرتدون نوع رداء لا خياطة فيه ، مصنوع من الصوف وكانه سجادة خفيفة يلفون به اكتافهم وجزءا من اجسامهم وليس لهم من رداء سواه حين يجوسون خلال الديار . واذا اتفق لهم عبور ماء عميق فانهم يلفون رداءهم وقيصهم حول رأسهم ، فكانهم عقدوا على رؤوسهم التيجان ، وهكذا يستطيعون عبور نهر النيل حتى في أيام الفيضان » . . . ان كلمة السجادة التي استعملها الرحالة الفرنسي الشيخ المحترم تصور لنا البردة ادق التصوير . وحسبما يقول لين في كتابه ( المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 189 ) ان البردة لا يرتديها في أيامنا هذه الا عدد ضئيل من الفلاحين المصريين ، وهذه البردة تكون في بعض الاحيان خالية من الزخرفة كما تكون في احيان اخرى مخططة بصورة متقاربة النقوش بحيث يخيل للناظر اليها من كتب انها ذات لون واحد .

واعتقد ان البردة كانت مستعملة كذلك لدى بدو مصر ، لانني اقرا في رحلة منتكازه الى اورشليم ( ص 112 ) « ان بعض البدو يسترون اجسامهم بقطعة من القماش طولها خمسة اذرع ، ويتدلى ثلاثة ارباع هذه القطعة تقريبا من جهة الذراع اليسري » . ونقرا كذلك في كتاب كويان ( درع أوروبا ، ص 325 ) « ان عامة الناس هناك يسترون اجسامهم بمجرد قطعة قماش من الصوف تلتف حولها التفاف الافاعي » . ونطالع في قصة تيفنو ( قصة رحلة الى المشرق ، ص 329 ) « ان الناس يدرجون مرتدين قميصا طويلا اربق اللون مخيطة من جميع الجهات حتى الاسفل ، ولهم قطعة قماش كبيرة من الصوف الابيض الفايط يلفونها عدة لفات على اجسامهم وتحت اباطهم وفوق اكتافهم » . واخيرا ، يقول دارفيو في كتابه ( مذكرات ، ج 1 ، ص 205 و 206 ) عن البدو في الاسكندرية الذين يؤجرون حمرهم للمسافرين : « ان ارديتهم لا تحول بينهم وبين العدو والكدر مطلقا ، وهذه الوردية تنحصر في قطعة طويلة من البركان او في النسيج الصوفي الهفاهف ، الذي يردفون نهاية منه على

(1) تاج الاسقف Mitre ( المترجم ) .

إذا سولت لنا انفسنا البحث عن هذه الكلمة فى كتاب ألف ليلة وليلة - هذا الكتاب الذي وردت فيه أسماء أنواع أخرى من البراقع . وانتي أرى - ان لم اكن متوهما - ان البرقع لم يوجد فى مصر الا فى مستهل القرن المنصرم تقريبا .

ويصف الكونت دى شابرول فى كتابه ( وصف مصر - ج 8 - ص 114 ) هذا الخمار على هذا المنوال : « حجاب يستر الوجه من جذر الانف - ويشد الى زينة الرأس أعلى الجبين ومن كل جانب . وهو قطعة من الموصلى او من نسيج الكتان الابيض الرقيق الدقيق - طوله طول الوجه ويتدلى حتى الركبتين . وهذا الخمار لا غنى عنه للمرأة التي تفادر منزلها » . ونقرأ كذلك فى كتاب بوكوك المعنون ( وصف الشرق - ج 1 - ص 339 ) : « ان عوام النساء يضمن على وجوههن نوعا من الفطاء الخفيف مشدودا بشريط الى زينة الرأس فوق الانف » . ونطالع فى تقرير ويتمان ( رحلات فى تركيا الآسيوية وسورية ومصر - ص 379 ) : « ان قطعة من الحرير تؤدي اكمل الاداء وظائف البرقع - بحيث لا يستطيع المشاهد ان يرى من الوجه الا العينين تقريبا » . ( يقول المؤلف هذا القول عن عوام النساء - وفى اللوحة العشرين يمكن رؤية زي امرأة من القاهرة من طبقة أعلى . والبرقع الاسود يتجاوز وسط هذا الجسم فقط ) وتشير كلمة البرقع الى الشيء الذي تشير اليه كلمة يشمق التركية - ذلك لاننا نقرأ فى كتاب تيرنر ( يوميات جولة فى المشرق - ج 2 - ص 308 ) ان هذا الرحالة واجه - اثناء رحلته من دمياط الى الاسكندرية - نساء قبطيات « مبرقعات يشمق yatchmak طويل اسود يبدأ من نهاية الانف ويتدلى حتى الركبتين » . ويقول المؤلف نفسه فى مكان آخر ( ج 2 - ص 396 - متحدثا عن عوام نساء القاهرة ) : « ويتدلى من هذه الطرحة على الجبين - مستعينا ببعض الحلى الذهبية او الفضية او النحاسية الصفر - يشمق من القطن الاسود او من الحرير الذي يغطي الوجه بتمامه اللهم الا العينين - ويهبط حتى الصدر - بل قد ينحدر أحيانا حتى يصل الى الركبتين » . وفى الختام دونكم ما نقرأ فى الكتاب الجميل لمؤلفه لين ( المصريون المحدثون - ج 21 ) : « البرقع او خمار الوجه ( لنساء الطبقة المتوسطة ) هو عبارة عن قطعة طويلة من الموصلى الابيض - وهي تغطي الوجه بأكمله - الا العينين - وتتدلى حتى تبلغ القدمين او تكاد . ويشد هذا البرقع الى النهاية العليا

بشريط ضيق يطوق الجبين . وهذا - شأنه شأن نهايتي البرقع من الأعلى - مخطط الى شريط آخر يدور حول الرأس » . ويقول نفس المؤلف بعد ذلك ( ج 1 - ص 24 ) : « ان عوام النساء يضمن برقعاً مصنوعاً من الكريب ( الكريشة ) الاسود الغليظ - وبعض النسوة من عترة الرسول صلى الله عليه وسلم يضمن البراقع الخضر على وجوههن » . وأخيراً يتناول بالوصف فى مكان آخر ( ج 1 - ص 66 - 67 ) زينة البرقع على هذه الشاكلة فيقول : « ان القسم الأعلى من البرقع مزدان فى معظم الحالات بالآلىء الزائفة ويقطع من النقود الذهبية وتحتليات أخرى من نفس المعدن - وهي صغيرة ومسطحة تسمى ( برق ) - كما يحلى فى بعض الاحيان أيضاً بحبات من المرجان - وتحت هذه قطع من النقود الذهبية . وتوضع أحيانا قطع معدنية فضية فضيلة القيمة - والعادة المتبعة كثيراً هي وضع زوجين من السلاسل المعدنية او الفضية - كل سلسلة معلقة بنهاية من الجهة العليا وتسمى ( عيون ) . وبوسعنا ان نشاهد هيئة البرقع فى كتاب لين ( المصريون المحدثون ج 1 ص 62 - 64 - 65 - 66 ) وفى الكتاب التالى ( وصف مصر - المصور - ج 1 - اللوحة 41 ) . ولا يوضع فى ايامنا هذه غير هذا النقاب على وجوه النساء فى مصر . اما فى سورية - فنساء البدو تلبس البرقع - ويسمون كلبس keblis . راجع برکهات ( تعليقات على البدو والوهابيين - ص 29 ) . وقد ظل هذا النوع من الحجاب مستعملاً كذلك فى الساحل السوري . ( رجع - تيرنر - يوميات جولة فى المشرق - ج 2 - ص 105 - 304 ) . اما فى الجزيرة العربية فان البرقع ملبوس فى ايامنا هذه من قبل نساء مكة وجدة والمدينة - فهن يضمن على وجوههن البراقع البيض او الزرق . راجع ( رحلات فى الجزيرة العربية - ج 1 - ص 239 - ج 2 - ص 239 ) .

ويبدو ان البرقع كان مستعملاً فى شيراز خلال القرن الرابع عشر - ذلك لان ابن بطوطة يقول فى رحلته - متحدثا عن نساء هذه المدينة : « ويخرجن ماتحفات متبرقععات فلا يظهر منهن شيء » . ( الرحلة ورقة 83 مخ دى كايانكوس ) . ويتحتم على كذلك ان الفت النظر الى ان كلمة برقع فى ما وراء النهر لا تشير الى ستر للوجه ولكنها تعنى غطاء كبيراً او رداء تلتف به المرأة التفافاً شاملاً . ونحن نقرأ فى قصة فريزر ( رحلة الى خراسان - الملحق ب - ص 89 ) :

« وتطرح النساء على الجسم ( جادر ) chudder أو ملحفة من الحرير تدعى boorkah وهذه تغطي الجسم من الرأس الى القدمين - ولكنهن يدعن فتحة صغيرة على هيئة شبكة بجوار العينين - والحالة نفسها متبعة لدى الفرس ، وهذا الاجراء يسري حكمه على سواكن الحواضر فقط . أما نساء الريف فهن حواسر الوجوه وكذلك شأن عجائز المدن . ( المرجع السابق - ص 86 ) . وفى موضع آخر يقول المؤلف نفسه ( ص 104 ) : « ان نساء المدن والقرى يتقنن كالمسلمات فى الولايات الاخرى - وهن يضعن براق boorkas على وجوههن تتدلى من الرأس حتى القدمين » .

### البركان - البرتكان - البركاني - البرتكاني

تشير هذه الكلمات اما الى هذا النوع الفليظ من القماش ( الزملوط Camelot ) الذي يسميه الفرنسيون Bouracan ، كما يسميه الاسبان Barracan - وهما كلمتان مشتقتان من التسمية العربية بركان - او انها تعني رداء مصنوعا من هذا القماش . ومع ذلك ، طيقت كلمة بركان ، فى هذه الازمنة الحديثة ، على اردية مصنوعة من الاقمشة الاكثر نعومة والاعلى ثمنا ، ولكنها فى الوقت نفسه قد فصلت على هيئة البركانات القديمة . ويتحدث ديكو دى هيدو فى كتابه ( خطط مدينة الجزائر ، و 9 ، مج 1 ) عن بدو مدينة الجزائر فيعبر عن الموضوع بالمبارات التالية : « ان ملابسهم هي قطعة من البركان Barragan (Un pedaço de barragan) البالي الممزق . وهم يلفون اجسامهم بها ، ويتخذون منها فى الليل غطاء لثامهم وفرشتهم . وتستعملها النساء نفس الاستعمال » . وفى مكان آخر من نفس الكتاب ( ص 8 ، مج 4 ) يتناول عين المؤلف كلمة بركان بمعنى رداء ، فيقول ان قبائل مدينة الجزائر يرتدون جميعا كساء Alquicer ( راجع كلمة كساء ) . يفظون اجسادهم به ، او يلبسون بركانا Barragan غليظا ، مصنوعا من الصوف العادي يلفون اجسامهم به » . ويقول اخيرا دى هيدو ( ص 19 ، مج 2 ) ان البركانات المفترطة فى دقة الصنع ، التي تستعمل اردية للنساء ، تجلب الى مدينة الجزائر من بلاد البربر ، ولكن البركانات الفليظة التي يستتر بها الاعراب ( البدو ) او يلبسونها

هم الفقراء تصنع فى قسنطينة وفى كولو . وما يزال البركان حتى ايامنا هذه يستعمل فى المغرب . فنحن نقرا فى كتاب بلاكير Blaquiere (رسائل من مالطة ، ج 2 ، ص 75 ) : « ان الاعراب يلبسون نوعا من البركان الاسمر تعلوه عمامة . الاول ملتف كيفما اتفق حول الجسم ، ويبدو فى غاية اللطافة والحلاوة بتعلقه بالكتف اليسرى » . وفى قصة انكليزية اخرى ( قصة اقامة عشر سنوات فى طرابلس الغرب ، ص 20 ) : « ان البدو يلبسون بركانا صوفيا سميكاً لونه لون البن الغامق ، طوله خمسة اوسنة اذرع وعرضه ذراعان تماما او على وجه التقريب . وهذا زيهم الكامل فى النهار ، اما فى الليل فهو فرشهم وغطاؤهم . ويلبسون هذا الثوب بضم نهايتيه العاليتين بمعونة سبك من الحديد او الخشب ، وبعد ان توضع هاتان النهايتان على الكتف اليسرى يطوي الرداء طيات حول الجسم ، ويلبس بعض البدو هذا الثوب بصورة بدعة خلافة . ويرتدي البدو نفس النوع من البركان ، الذي هو بالنسبة لبعضهم اللباس الوحيد ، لان من النسوة من يضفن اليه قميصا » . واذا رجعنا الى تقرير النقيب ليون ( اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 39 ) علمنا ان البركان يلبس من قبل الرجال والنساء العرب القاطنين فى اطراف طرابلس الغرب ، وان نساء المدينة يرتدين كذلك هذا اللباس لدى خروجهن من بيوتهن . ( المرجع السابق ، ص 17 ) اما بركان نساء الطبقة العليا فانه مصنوع من الحرير او من خيوط القطن الناعمة ، وهؤلاء النساء يؤثرن الالوان البراقة ، وهن يلبسن هذه الازدية فى هيئة تشكل فستانا انيقا ، وذلك بعقده بصورة رائعة على الرأس وعلى الكتفين ( المرجع السابق . ص 18 . قارن اللوحة الثانية ) . ونحن نقرا فى السفر المعنون ( قصة اقامة عشر سنوات فى طرابلس الغرب ، ص 6 ) : « ان نساء الطبقة المتوسطة يخرجن عادة ماشيات على الاقدام ، ولكنهن لا يخرجن ابدا دون ان يكن مصحوبات بجارية او بخادمة . وهن يلتفن حينئذ التفافا تاما بحيث يكون من الاستحالة بمكان تبين شيء عدا طولهن ، ذلك لانه ليس من السهولة تبين حتى قامتهن . وهؤلاء النسوة رداء - يدعى بركانا - يبلغ عرضه نحو ذراع ونصف ذراع وطوله اربع او خمسة اذرع . وهذا الرداء يغطيهن كل التغطية ، وهن يسدن به وجوههن سدا محكما فلا يكدن يدعن الا فتحة بالفة الصفر لرؤية طريقهن . والنساء اليهوديات يلبسن

حول العين السيئة بخصوص المثل الواحد والثلاثين من أمثال الميداني - وهي موجودة في المجلة الآسيوية - السلسلة الثالثة - الجزء الخامس - الصفحة 242 - ولم ينس هذا العالم الجليل أن يورد عبارتي التبريزي اللتين فرغتم من قراءتهما .

وما برح البريم مستعملا في أيامنا هذه لدى البدو - واليك ما كتبه حول هذا الموضوع بركهارت في كتابه ( تعليقات على البدو والوهابيين - ص 28 ): « ان الرجال والنساء يرتدون منذ الطفولة حزاما من الجلد على اجسامهم العارية - ويتألف هذا الحزام من خمسة سيور جلد مبرومة على بعضها بحيث أنها عادت تشكل جبلا له سمك اصبع . وقد سمعت من يقول ان النساء يشدن سيورهن المنفصل بعضها عن بعض حول اجسامهن . والنساء والرجال سواء في تزيين الاحزمة بقطع من الاشرطة أو بالتمائم والتعاويذ والاحجية . والعنزويون يسمون هذا الحزام حقوا Hhakou ويسميه اهل الشمال بريم Bireim ويقول الرحالة نفسه ( ص 131 ) في نفس الكتاب - في معرض حديثه عن الرجال والنساء المجاورين لمكة والطائف : « ان النساء والرجال على حد سواء يشدون فوق ميادعهم الجلدية احزمة جلد مؤلفة من اشرطة جلدية طويلة دقيقة مبرومة اثني عشرة برمة أو اكثر - وهي منتفة على اجسامهم . وتشد النساء اشرطة مماثلة - ملفوفة على جلد البطن العاري تحت المبدع وهذه عادة شائعة في الصحراء بتمامها . ويؤكد البدو ان محمدا - صلى الله عليه وسلم - كان يتحزم بحزام من هذا النوع » .

### البرنس ، البرنوس ، البرنوس

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويتبادر الى الذهن أن من الصعوبة بمكان تقرير ما كانت تعنيه كلمة برنس في قديم الزمان . وطبقا لراي القاموس ( ط ككتنا ، ص 739 ) يكون معناها قانسوة طويلة أو كل ثوب راسه منه ، دراعة كان أو جبة أو ممطرا . ويقول احد شراح شعر المتنبي المجهولين في ( الشريقات ، ج 1 ، ص 289 ) : « ان البرنس الصغير هو بخنق . لذلك لا يبدو لي من باب الاستحالة التامة ان كلمة برنس كانت تعني في العهود القديمة نوعا من الطاقيات الصغيرة التي كانت تعتمرها الرؤوس ، ذلك لان كلمة قانسوة ، التي يستعملها مؤلف القاموس تعني حقيقة - كما سنرى

هذا القسم من ازيائهن نفس اللبسة تقريبا . ومع ذلك فهن يتركن احدى العينين للرؤية ، وهذا ما لا تفعله المرأة المغربية ولو كان ثمن هذا التصرف الدنيا بأجمعها ، اذا كانت تأبه للرأي العام ، لانها لو تجرات ففعلت فان سمعتها بالتاكيد سينالها كل سوء » . ( المرجع السابق ، ص 31 ) . ويقول الرئيس الاول دنهام ( رحلة الى الشمال الافريقي ، ج 1 ، ص 27 ) : « ان الرجال يرتدون البركان المصنوع من الحرير الابيض الشفاف ... والبركان الغليظ يلبس كذلك في سخنا (راجع ليون ، ص 73) . ويقرر روجيه في كتابه ( الارض المقدسة ، ص 205 ) في معرض التحدث عن البدو : « بعضهم يدرجون عراة فلا يرتدون سوى بركان أو ازار من اغلظ الاصواف يلفون به الجسم لفا لاختفاء البطن والاجزاء المخجلة ( العورة ) » . راجع الصورة ، ص 207 .

### البريم

اننا نقرا لدى الجوهري ( ج 2 - مخ 85 - ص 268 ) : « وقال ابو عبيد : البريم الجبل المفتول يكون فيه لوانان وربما شدته المرأة على وسطها وعضدها » . وانشدنا الاصمعي ( الطويل ) :

« اذا المرضع العوجاء جال بريمها »

ونقرا كذلك في القاموس : وقد يعلق على الصبي يستدفع به العين خيطان مختلفان ، أحمر وأبيض ( ط ككتنا - ص 1577 ) . تشده المرأة على وسطها وعضدها وكل ما فيه لوانان مختلفان وجبل لمرأة فيه لوانان مزيين بجوهر تشده المرأة على وسطها وعضدها .

ونطالع في شرح أشعار جرير ايضا ( مخ 633 - ص 102 ) البريم الحقاب وهو خيط تشده المرأة في حقوها . وانما جعله بريما لاختلاف الوانه ، وكسل لوانين مختلفين فهو بريم . يريد جال بريمها من هزالها وربما كان من خرز . وفي شرح التبريزي للحماسة ( ص 556 ) : والجديل هو الوشاح أو ما تشده المرأة في حقوها من الادم المصفور وليس هذا من عادة العرب وانما الاماء يفعلن ذلك . واذا كان من لوانين فهو البريم وهذا يشد في احقى الصبي تدفع به العين وانما يتخذون البريم من الخيوط ليشد في احقى الصبيان فتدفع به العين ( راجع ص 704 من نفس الكتاب ) . وراجع كذلك كاترمير في ملاحظته القيمة

Bornoz de Mequinez (que llaman Mequinezis)  
وهذه البرانس مدعاة للتقدير والاعجاب فى افريقيا ،  
ذلك لانها تنسج نسجا ايقا فتكون طويلة الاعمار ،  
بالاضافة الى كونها دقيقة الصنع » .

ويقول دارفيو فى كتابه ( مذكرات، ج 5 ، ص  
281 ) فى الفصل المعنون : « ملابس رجال ونساء  
مدينة الجزائر ما يلي : « ان المقاربة والمنتصرين  
( الموريسكيين ) والآخرين الذين يساكنونهم فى المدن  
لهم برنس ابيض منطرح على اكتافهم يقوم لديهم مقام  
المعطف » . ويضيف الى ذلك ( ص 282 ) ان  
الاتراك فى مدينة الجزائر « يسدل على اكتافهم برنس  
له قبعة فى نهايتها عقدة ضخمة من الحرير » . ويقول  
بعدئذ ( ص 283 و 284 ) : « ان معطفهم الاحتفالي  
حين يجوسون دروب المدينة زائرين او عادين الى  
الديوان هو برنس من القماش الاسود شتاء او من  
الكريون (1) الحريري او من الصوف . اما اللون فهو  
ذاته صيفا وشتاء . وهذه البرانس التي سبق لي ان  
وصفتها لها حواشي وهدبات مطرزة بالحرير تحيط  
بها من كل جانب . وهي ضيقة من الاعلى وواسعة من  
الاسفل ، ولها قبعات تشبه قبعات الرهبان  
الكبوشيين التي تلو كل واحدة منها فتزعة ضخمة  
من الحرير . وهم يفظون رؤوسهم بقبعات البرانس  
لدى سقوط المطر . والبرانس كافة تكون عادة  
سوداء اللون سمة التواضع والاحتشام التي يتظاهر  
بها القوم . وهذا اللون لليهود وحدهم - القاطنين فى  
مملكة مراكش وفارس ، حيث يلبس الناس الآخرون  
البرانس البيض او الحمر . فهم يلبسون الاطفال  
البرانس الحمر فى مدينة الجزائر ، ويستعمل وجهاء  
الناس فى الريف هذ اللون ايضا . اما رجال الادب  
والمفتون فانهم يرتدون البرانس البيض . ويصنع  
اهل تنمسان هذه البرانس ، وهي محرقة بصورة  
تجعل احد جوانبها متموجا كأنه عنقاش ( زملوط  
Camelot ) اما الجانب الاخر فيشبه اصواف  
الحملان المجمدة التي ترد من البحر الاسود . وهم  
يدعون الشعر متوجها الى الداخل اثناء موسم الشتاء  
ويدعونه متجها الى الخارج فى فصل الصيف او عند  
ما تمطر السماء ، ذلك لان المطر ينساب فوقه دون  
ان يخترقه ، واذا الحت عليه الامطار بمدارها فان  
نفضه عدة نفضات يكفي لعودته جافا كأن لم يمعن فيه  
الغيث » .

ذلك فيما بعد - طاقية او عرقية . وهكذا فان هذا  
الغوي - حين يقول قلنوسة طويلة - يظهر انه يشير  
الى : طاقية تتدلى حتى الكتف . اما كلمة بخنق  
المستعملة من قبل شارح المتنبي فانها تشير كذلك  
الى عرقية ( راجع ص 55 و ص 56 ) .

ويزودنا البخاري ( الصحيح ، ج 2 ، مخ 356 ،  
ص 167 ) بفصل من هذا الكتاب معنون : باب  
البرانس . وارى ان كلمة برنس مستعملة فيه كذلك  
بمعنى طاقية . واليكم كلمات البخاري : وقال لى  
مسدد ، حدثنا معتمر ، سمعت ابي قال : رأيت على  
انس برنسا اصفر من خز . حدثنا اسماعيل قال  
حدثني ان رجلا قال : يا رسول الله ما يلبس المحرم  
من الثياب ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
لا تلبسوا القمص ولا العمائم ولا السراويلات ولا  
البرانس ولا الخفاف ، الا احد لا يجد التعلين الخ . .

واذ ان هذه الكلمة قد عينت فى الازمنة القديمة  
طاقية فانها لتشير اشارة - لا سبيل الى الاسترابة  
فى امرها - فى العصور الحديثة الى معطف ضخ  
له قلنوسة . وانني افترض ان كلمة برنس فى القديم  
كانت لا تنطبق الا على قبعة الراهب الكبوشي التي  
كانت تشبه البرنس القديم ، او الطاقية ، وتنقضى  
المعطف بأجمعه ، على طريق التوسع ، هذه التسمية  
منذ ذلك الحين .

ولنبدا بالمغرب . وها نحن نقرأ فى كتاب  
ديكو دى هيدو ( خطط مدينة الجزائر ، ورقة 8 ،  
مج 2 ) الذي يتحدث عن الجزائريين العرب :  
« يرتدون فوق جماع ثيابهم لباسا يشبه المعطف وهو  
البرنس الابيض Albornoz ، ولكن افراد الطبقة  
الارفع يرتدون البرانس الملونة السود او الزرق ،  
وفى ايام البرد يتدثرون بدثار آخر من نفس الالوان .  
وفى مكان آخر ( ورقة 19 ، مج 2 ) يخبرنا المؤلف  
ان هذه البرانس تجلب من تلمسان الى مدينة الجزائر:  
والكثير من هذه البرانس البيض والسود والزرق  
يدع النسيج محكمة » .

ونجد فى كتاب مارمول ( وصف افريقيا ، ج 2  
ورقة 83 ، مج 2 ) فى مادة مدينة مكناس : « ان  
النساء يفرزن الصوف الدقيق الناعم وينسجن برانس  
فاخرة من الحرير والقطن ، وبرانس اخرى من  
القطن والصوف يطلق عليها اسم

(1) نوع من الكريشة الفليظة .

ويكتب وندس في كتابه ( رحلة الى مكناس ، ص 28 ) كلمة البرنس هكذا Albornooc و يورد تفاصيل عن هذا الكساء . ونحن نقرا في رحلة شو الى بلاد البربر والشرق ( ج 1 ، ص 320 ) : « ان البرنس الذي يشبه معاطفنا يلبس في اغلب الاحيان فوق ( الحيك Le Hyke ) ليقى لابس من البرد . وهو الى ذلك فرع مرموق من فروع صناعات الانسجة الصوفية لديهم . وهم ينسجونه قطعة واحدة ، وهو ضيق حول العنق ، ومزود بقبعة ، او بقمع مخروطي لتغطية الرأس ، Une chausse de Hippocras اما من الجهة السفلى فهو واسع يشبه رداء الفارس . وبعض هذه البرانس مطرزة من الاسفل من نهايات الحواشي والهدبات .

وفي منتصف القرن الماضي لم يعد البرنس الذي يلبسه اهالي مكنة فاس ومراكش يسمى برنسا وانما يدعى زلحما ( راجع هذه الكلمة ) ، ولم يبق من عشاقه الذي يلبسونه الا اليهود . فقد ترك هذا البرنس او هذا البرنوس ، كما يكتبه هوست في كتابه ( اخبار من مراكش ، ص 146 ) فان هذا الرحالة الجليل يتحدث عنه على هذه الشاكلة : « ان جميع اليهود يلبسون البرنس Le bernūs الاسود ، ولكن لا يسمح لهم بارتدائه على نفس الهيئة التي يرتدي بها المغاربة الزلحم Zolhâm ، وعلى العكس من ذلك ، ما يكون لدى المغاربة من الجهة الامامية يوضع لدى اليهود على احد الاكتاف ، وما يكون لدى المغاربة من الجهة الخلفية يوضع لدى اليهود على الكتف الاخر . ( انظر اللوحة الثانية والعشرين الشكل الاول ) ان المزعوم علي بيك ( الاسفار ، ج 1 ، ص 4 ) يصف على هذا المنوال البرنس كما يرتديه اهالي طنجة : « نوع من انواع الاكياس . اجل ، كيس كبير غليظ له قبعة » . ويكون هذا الرداء ابيض اللون في هذه المدينة ويلبس فوق الحيك ( المزجج السابق ص 16 ) ويزودنا هذا الرحالة حول برنس اليهود بنفس التفاصيل التي نجدها في الكتاب الذي ذكرناه آنفا لمؤلفه هوست ( علي بيك ، ص 33 ) واعتمادا على تقرير النقيب ليون ( اسفار في الشمال افريقي ، ص 6 ) نعلم ان سكان طرابلس الغرب يرتدون البرنس الصوفي الابيض الناعم ، ويلبسونه في المناسبات الرسمية كساء آخر له شرائط من ذهب .

وآرى ان العبارة التالية من قصة (رحلات فان خيستلا ، ص 31 ) وهو اقدم جميع هؤلاء الرحالين يجب ان تطبق على البرنس ، يقول : « ان المغاربة

يرتدون ايضا نوعا من انواع الغماء ( غطاء للرأس ) وهو دثما من نفس اللون ، ويقرب كثيرا من هيئة ذلك النوع الذي يرتديه الرهبان الشارتريون Les Chartreux ولكنه اوسع كثيرا ، بحيث يبدو وكأنه حلة القديس الخارجية Une chasuble اذن فالبرنس موضوع البحث هنا كان ابيض اللون .

وفي العبارات التي فرغنا من قراءتها لم يصل الى علمنا ان البرنس كان اخضر اللون كذلك . ولكن يبدو ان اللون الاخضر للبرانس يوجد احيانا في ايامنا هذه في الجزائر ، ذلك لانني قرأت في صحيفة ليدن ، الجمعة ، 12 آب 1842 ) : « يشاع في مرسيليا حذثة وصول رجل محترم من اهالي الجزائر الى هذه المدينة يدعى المزارى بيك . - وقد ظهر المزارى نفسه مرتديا - كما هي عادته - برنسا اخضر اللون مفرط الروعة » . الخ .

ان مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين الذي عنوانه « الحلل الموشية ، مخ 24 ، ص 9 » يعد من بين الهدايا المهداة من قبل الامير يوسف بن تاشفين الى عمه ابي بكر بن عمر : مائة برنوس منها منشرة وكحل وحمر .

وقد كان البرنس في اسبانيا رهن الاستعمال ، ومن هذه الكلمة العربية اشتق الاسبان كلمتهم البرنز Albornoz الذي جرى وصفه على قلم كويباروفيانس ( الكنز ، مدريد ، 1611 ) على هذا النحو : « انه معطف مقل ، مزود بقبعة ، ويلبس اثناء السفر . وهو مصنوع من قماش لا ينفذ الماء فيه ، ويستعمل المغاربة هذا النوع من المعاطف كثيرا او يتخذونه غطاء . ويقول اوربا انه معطف افريقي ضد المطر يدعى برنسا ، وهو اسم بربري سماه به الزناتية » . ونقرا في نفع الطبيب للمقري ( مخ دى غوتا ، ص 88 ) ان لباس الشرف ، المهدي من قبل الحكم الثاني الى اوردنيو الرابع كان دراعة منسوجة بالذهب وبرنسا مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجواهر والياقوت .

اما في مصر فكان المالك يرتدون البرنس ، لانني اقرا في قصة الامير رادزفيل Radzvil Le prince ( الرحلة ، ص 30 ) : « وعلى لباسهم الفوقاني الذي يسمونه البرنس يسدلون من الجهة الخلفية جلد حيون » .

اما في ايامنا هذه فان المصريين لا يلبسون البرنس ، لان كلا من الكونت دى شابرول وليون لم يتحدث عنه . ( راجع لين هذا في ترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة ، ج 3 ، ص 157 ) .

معمول من الخشب . ولما كان لها شكل الزوارق المسطحة فقد سميت :

« Avarcas » (que por tener forma de varcas, se dixeron avarcas)

أما الطراز الآخر فمعمول من جلد الثور المدبوغ، وهي تشد الى الاقدام بخيوط غليظة ويوجد تحت الجلد قطع من الجوخ . وبواسطة هذه الاحذية يستطاع المشي على الثلج دون تعرض لخطر . والملاحظ كل الملاحظ ان الكلمة العربية بطن وجمعها بطائن تعني كذلك قاربا صغيرا . فيبدو لي اذن انه من المحتمل كل الاحتمال ان الاسم العربي بطن قد سمي به نوع من هذه الاحذية ، لانها كانت تشبه قاربا مسطحا ، شأنها شأن الكلمة الاسبانية (avarca) abarca .

### البفلاق أو البفوطاق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وقد سبق لعالمين جليلين من الطراز الاول هما كاترمير في كتابه ( تاريخ السلاطين المالك ، ج 1 ، ق 2 ، ص 75 و 76 ) وفليشر في كتابه ( De glossis Habichtiani, pag. 32 ) ان جمعاً تفصيلات عن هذه الكلمة . فلا يسعنا هنا الا ان نقدم نتيجة ابحاثهما .

ان كلمة بفلاق أو بفوطاق التي جمعها بفالطق تشير الى : قميص بغير ردين أو بردنين قصيرتين للفاية ، وهو يلبس تحت الفرجية . وكان يصنع من قطن بعلبك الابيض (1) أو الاخضر وقد وجدت في

ويبدو ان البرنس لم يعد قيد الاستعمال منذ قرون في اقطار الشرق الأخرى .

أما عن صفة الكلمة فقد رأينا أننا انما ان هوست قد كتب هذه الكلمة هكذا ( برنوس ) ، وفي مالطة ينطقون هذه الكلمة نفس النطق فيقولون برنوس ( راجع فاسيلي ، قويميس مالطي ، مج 24 ) . ويقول لين في ( كتابه القيم ) انهم ينطقون بالكلمة على شكلين ، فيقولون برنوس وبرنس ، وقد فرغنا من معرفة وجود الكلمة مكتوبة هكذا : برنوس في المخطوطات الثلاث للحلل الموشية . وفي عبارة أخرى من نفس الكتاب نقرا كذلك كلمة ( برنوس ) في مخطوطة ليدن ( ص 8 ) وفي مخطوطة ( دي كايانكوس ورقة 12 ) على حد سواء .

### البطان والجمع البطانات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وكان البطان مستعملا في اسبانيا ، وهو يشير الى حذاء قروي معمول من جلد الثور المدبوغ ، ذلك لان بيدرو دي الكالا في كتابه ( مفردات اسبانية عربية ) يترجم كلمة اباركا دي بالو Abarca de palo بكلمة بطن وجمعها بطانات ، كما يترجم هاتين الكلمتين اباركادو كالسادو Abarcado calçado بكلمتي ملابس البطانات . ويقول كوبروفياس عن كلمة اباركا Abarca في كتابه ( كنز اللغة القشتالية ) : البطان هو نوع من الاحذية القروية التي يستعملها القرويون . وهذه الاحذية على طرازين : الطراز الاول

(1) أوئل الا يفتاظ القراء حين يجدون هنا بعض التفاصيل عن قطن بعلبك الابيض . فاننا نقرا لدى ابن اياس ( تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 104 ) : « وفيها استأذن السلطان القاضي بدر الدين محمود الكلثاني كاتب السر الشريف في ان العسكر يلبس الصوف الماون . فأذن لهم في ذلك . وكانوا لا يلبسون الا الصوف الابيض فقط . وكان ارباب الدولة المتعممون يلبسون في الصيف البعلبكي الابيض ، وفي الشتاء الصوف الابيض . فأول من لبس الصوف الاخضر القاضي شرف الدين الدماميني ناظر الجيش الذي تولى بعد القصيري فتبعه بقية المباشرين » . ولا توجد كلمة الكلثاني في كتاب « لب الالباب » . وفي مكان آخر ص 103 يقول نفس المؤلف : « عشرين حمال اثواب بعلبكي » . وانا لاحظت اعبرا وجوب اضافة ( حمال ) في هذا المعنى الى القاموس . وأقرأ لدى نفس المؤلف ص 35 ، 123 . اذ يبدو ان الاقمشة القطنية البعلبكية كانت تستعمل لتكفين الموتى ، لاننا نطالع لدى ابن اياس ( المرجع السابق ، ص 352 ) بصدد الطاعون المشهور الذي حاق بمصر عام 833 : « وتزايد الموت حتى صاروا لا يجدون النعوش ويحملون الاموات على الابواب وما أشبه ذلك . وصار البعلبكي والبطائن لا توجد وارتفع سعرها جدا » . ويجب اضافة كلمة نعوش الموجودة لدى ( D. Germano de Silesia, pag. 243 ) الى القاموس . وانني أترجم كلمة بطينة على هذه الشاكلة مقتفيا اثر بيدرو دي الكالا في كتابه ( مفردات ) الذي يترجمها Baldres . ويخيل الي

عن القاضي جمال الدين المصري قاضي قضاة دمشق انه يتعاطى الشراب . فأراد تحقيق ذلك عيانا . فاستدعاه وهو في مجلس الشراب . فحضر اليه . فلما رآه قام اليه وناوله هنابا مملوءا خمرا . فولى القاضي جمال الدين المصري ورجع فغاب هنية . ثم عاد وقد خلع ثياب القضاء : الطرحة والبقيار والفوقانية . ولبس قباء وتعمم بتخفيفه وحمل مندبلا . ودخل على الملك في زي الندماء وقبل الارض وتناول الهناب من يده وشرب ما فيه ونادم المعظم فأحسن منادته . فأعجبه . واعتذر من فراره انه ما كان يمكنه تعاطي ذلك وهو في زي القضاة . فاغتبط الملك المعظم به . ولما انقضى مجلس الشراب ورجع المعظم الى حسه علم انه لا يجوز له أن يقره على ولاية القضاء وقد شاهد من أمره ما شاهد . ففوض القضاء للقاضي شمس الدين وخاع عليه .

نرى من هذه الحكاية الغريبة ان البقيار كان ملبوس القاضي على وجه التخصيص - والقضية الان هي قضية ان نعلم ماهية هذا اللباس . ان كلمة بقرار أو بقرار تعني بالفارسية قواميسنا :

« Tapeti non villosi genus (nigrum, ex pililiscamelinis) »

وهذا ما يحملني على التفكير أن كلمة بقرار في كلامنا هذا كانت تعني : « نوعا من الثياب المصنوعة من وبر البعير - وكان هذا الثوب يرتدى تحت الفوقانية . والحقيقة ان البقيار وفق رأى الزمخشري : (مقدمة الادب، ق 1، ص 62 : Lexicon arab.-pers.) يدل على نفس الثوب المسمى بـ (بركان) - راجع هذه الكلمة .

( تاريخ مصر للنويري : مخ 2 ، ص 116 ) ان هذا الثوب كان يصنع ايضا من الاطلس المديني (المعديني) Madin . ونحن نقرا فيه كلمة ( بفظات ولكنها اغلوطه ) . وكانت هذه الثياب تزين بالجواهر والآليء بل كان بعضها ينسج ويظعم كله بالاحجار الكريمة . واخيرا فهو نفس اللباس الذي كان يدعى قباسلاري ، وكان شائع الاستعمال رفيع الشهرة اثناء حكم الملك الناصر محمد وكان قد رفع قدره الامير ( سلار ) فسمي باسمه . اما كلمة ( بفتاق ) الفارسية الاصل فيبدو انها لم تكن مستعملة الا في مصر .

## البقير والبقرة

نحن نقرا لدى الجوهري ( ج 1 - مخ 85 - ص 362 ) : « البقير والبقيرة الاتب . وهو قميص لا كمين له تلبسه النساء . ونقرا نفس المعنى في القاموس ( ط لكنتا - ص 466 ) : « برد يشق فيلبس بلا كمين كالبقيرة » . ( راجع كلمة اتب ) .

## البقيار

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نقرا لدى النويري ( تاريخ مصر - مخ 3 ورقة 69 ) بمناسبة وفاة قاضي القضاة شمس الدين احمد بن الخليل - التي حدثت عام 237 : « واما سبب ولايته القضاء بدمشق فانه قد بلغ الملك المعظم

ان الجثث كانت تكفن بهذه البطائن، وبالرغم من أن هذه العادة لم تعد متحكمة في مصر فانا نرى مع ذلك بشهادة لين ( المصريون المحدثون ، ج 2 ، ص 321 ) وشهادات مؤلفين آخرين ان جثث الموتى كانت تكفن في قطع عديدة من القماش . فاذا لم يكن متوهما في ترجمتي لعبارة ابن اياس فانه ينبغي تقبل زعمي في أن القدماء كانوا يكفنون الجثث بقطعة من القماش القطني الأبيض ثم يدبرونها في جلد خروف مدبوغ . ونجد لدى ابن بطوطة ( الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 30 ) : « ويصنع بعلبك الثياب المتسوية اليها من الاحرام وغيره » . ويمكن الرجوع الى مارمول في كتابه ( وصف أفريقيا ، ج 3 ، ص 111 ) . وما تزال بعلبك حتى أيامنا هذه مشهورة بمصنوعاتها القطنية البيضاء . فينح نقرا في كتاب بر كهارت ( رحلات الى سورية ، ص 15 ) : « ان سكان بعلبك يصنعون اقمشة من القطن الابيض شبيهة باقمشة زحلة » .

ويبدو ان كلمة بعلبكي تعني كذلك اقمشة حريرية ، فانا على الاقل نقرا في كتاب الف ليلة وليلة ، طبعة هايخت ، ج 3 ، ص 139 : « قلع الخليفة من عليه ثوبين سكندري وبعلبكي من حرير » . وانظر حول صفة معدني ملاحظة كاترمير ( تاريخ السلاطين المالك ، ج 2 ، ق 1 ، ص 33 ) فحسب رأي هذا العالم الجليل أن الكلمة مشتقة من مدينة معدن Madin ، الواقعة في ارمينيا ، قرب الفرع الرئيسي من فروع دجلة . وكانت هذه البلدة مشهورة باقمشتها الاطلسية البديعة التي تصنع فيها .